

تأليف
الدكتور/ احمد محمد الخراط



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـــــدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد الهادى الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم .

لعل من أهم خصائص الأمة التى تثق بمنهجها وتاريخها ورجالها ، أنها تجدُّ السير فى تقويم مرحلتها الراهنة ، لترتِّبَ أوراقها وتطمئن على تسديد نظرتها ، وحَرِىٌّ بأمتنا الإسلامية ــ إذا كنا نعتقد أنها من بين تلك الأمم ، بَلْهَ أن تكون أولى منها ــ أن تقوم بهذا التقويم والترتيب والتسديد .

عدوُّنا جادٌّ فى حربه ، وقد صنَّف معاوله وطرق هَدْمِهِ إلى أصناف ، فقد يسعى فى أن يغتال شعباً كاملاً من شعوبنا ، كما يصنع الآن فى أندونيسيا وذلك فى اقتحام تنصيرىّ مباشر ، وتتوقع دوائره أن تربح الجولة بعد سنوات ، وقد يشِّوه كثيراً من معالم شرعنا ونقاء سيرة نبينا ﷺ ، كما تصنع دوائر إلا ستشراق التى رتبت طاقاتها لذلك ، وقد يصل إلى بيوتنا ليلقِّنَ أولادنا وأجيالنا دروساً فى أخلاقه وطرائق تعامله مع المحيط ، ليحذوا حَذْوَه ، وهو ماضٍ فى هذا الطريق ليحكم فكر العالم عن طريق إعلامه الوارد الينا عن طريق الأقمار الصناعية ، التى يدرس (تقنيتها) الآن .

فإذا كان العالم الآخر غير الإسلامى فى مثل هذا التخطيط الجاد

فى تصدير فكره وأخلاقه ، وفى حربه وتشويهه ، وفى أغتياله للشعوب الإسلامية ، فماذا أعَددْنا نحن ؟ وكيف نحافظ على ناشئتنا وأجيالنا أن يذوبوا فى تزيينه لطريق الهاوية ، ومن هنا ، فإن حديثى فى السطور التألية لم يتوجَّه إلى بلد محدد ، أو جماعة معينة ، وإنما يخاطب كل مرّبٍ وغيور على أبناء الأمة الإسلامية واستقامة مسارها ، ودعم الوسائل التى تعتمد عليها دعوتها ، وذلك على مستوى العالم الإسلامى الذى يمتلك الإمكانات الواسعة ، ولكنه بحاجة إلى التوجيه الصحيح ، كما أَننى أخاطب كل داعية يحس أن عليه مسؤولية التبليغ والترشيد ، القويم ، فكيف يمضى هذه الداعية فى مباشرة مسؤوليته ؟

والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

د . أحمد محمد الخراط

المدينة المنورة ١٤٠٦/٦/١٥ هـ

معنى التحصين وأهـــدافه

يحسن بنا أن نشير إلى المعني اللغوى للتحصين ، قال صاحب (اللسان)[1] : «حَصُنَ المكانُ يَحْصُنُ حَصانةً ، فهو حَصِين : مَنُعَ ، وأَحْصَنه صاحبُه ، وحَصَّنه ، وحَصَّنْتُ القرية : إذا بَنَيْتُ حولَها ، ودِرْعُ حصينُ وحَصِينةُ : مُحْكَمة» ، قال تعالى فى قصة داود : ﴿**وعَلَّمْناه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم لِتُحْصِنَكم من بأسكم**﴾[2] ، ومعنى لِتُحْصِنَكم : تمنعَكم وتُحَذِرَكم ، واصلُ الإحصان : المَنْع .

وقال فى (المعجم الوسيط)[3] : «حَصَّن الإنسانَ أَحْصَنه من المرض : اتَّخذ الحَيْطَةَ للوقاية منه» .

ولعلنا نلاحظ ارتباط المعنى اللغوى بالمفهوم الحسى قبل أن يتوسَّع ليشمل أموراً معنوية قريبةَ الصلة بالمعنى السابق .

أما المعنى المقصود هنا فنعنى بتحصين الأمة وأجيالها مجموعةَ الإجراءات والترتيبات التى يُعِدُّها المفكرون والمخلصون ، والمربُّون فى العالم الإسلامى ، وذلك لتحقيق غرضين :

١ ـ الثبات أمام التيارات الوافدة التى تهدف إلى زعزعة ثقة

---

(١) اللسان : مادة (حصن) .
(٢) الآية ٨٠ من الأنبياء .
(٣) المعجم الوسيط : مادة (حصن) .

الأمة بأحكام شرعها وتمضى فى إثارة الشبهات المختلفة حول الرسول ﷺ وصحابته ، وما جاء به ، وتاريخ الإسلام ، حتى إذا ما حققت هذه التيارات غرضها ، أمست الأمة وقد باتَتْ صلتها بدينها وتراثها باهتة شكلية ، فتأتى مجموعة الترتيبات فى عملية التحصين لتحقيق الثبات أمام تلك الترتيبات الوافدة ، فتردُّ على مزاعمها وتبيِّن حقيقة أهدافها ، ثم تستمر أشكال التوعية المناسبة ، فتضمن ـ بإذن الله ـ قوة الرابطة والعلاقة التى تربط الأمة بمنهج سلفها .

٢ ـ استمرار عطاء الأمة وحثّها على الصحوة واليقظة لمتابعة مسيرتها ، فالله سبحانه يخاطب هذه الأمة بقوله ﴿ **وكذلك جَعَلْناكم أمةً وَسَطا ، لتكونوا شهداءَ على الناس** ﴾[(١)] ، ويقول ﴿ **ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم ، وتكونوا شهداءَ على الناس** ﴾[(٢)] ، وهذا يعنى المزيد من السعى الحثيث فى تحسين معالم هذه الصحوة الإسلامية وتوعية الذين انضوَوا تحت هذا اللواء ، أنْ ذلك يحقق النضج فى بناء الأمة الداخلى ، ويبنى التفكيرَ الجادَّ فى نَقْل الرسالة العالمية إلى هذه الشعوب التى تعيش حالة الفراغ الروحى ، والخواء العَقَدى ، وتنتظر مَنْ يَدُلُّها على الدين الحق .

ولعلنا الآن نستطيع أن نجمع بين المفهومين : اللغوى والاصطلاحى ، فنقول : إن (التحصين) مصدر حَصَّن ، يقول أهل اللغة : فَعَّل مصدرها القياسى : تفعيل ، نحو : كسَّر

---

(١) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .

تكسيراً ، وحَسَّن تحسيناً ، والمادة اللغوية تفيد المنع ، واتخاذ الحيطة للوقاية ، وهذا هو منطلق المفهوم المعنوى الواسع أن نتخذ ما يمنع ضعف الأمة ، وأن نحتاطَ لنسعى فى وقايتها من عوامل الضعف والتأخر فى مواجهة التيارات المختلفة .

وهذه الاجراءات والترتيبات تقوم ـ فى رأيى ـ على عنصرين :

ـ عنصر يتوجَّه إلى الفرد .

ـ وعنصر يتوجَّه إلى الجماعة .



تحصين الفرد

أما العنصر الذى يتوجه إلى الذات ، فنعنى به تربية الفرد تربية تعتمد على (الكيف) ، وعلى تَمَثُّل المادة التربوية فى جميع مراحل العمر والدراسة والتكوين ، وذلك لأن تربية الفرد التى تعتمد على (الكم) ـ بأن تُعْرَضَ أمامه مثلا مواد دراسية عرضية دون أن يلاحظ المربى مدى تَمَثُّل الفرد وافادته ـ لن تحقق غايةً سوى حشو الذهن بمعلومات حفظية تُعْطى للفرد على طريقة التلقين المباشر ، ويقوم عليها مُرَبٍّ غير مناسب ، ويزداد الأمر سوءاً عندما تكون العملية التربوية صورية : بأن يدرس المنتسب إلى المؤسسة ـ أيا كانت ـ مادة هزيلة ، على شكل (ملخصات) مثلاً ، يباشر قراءتها قبيل الإمتحان ، حتى إذا جاء الإمتحان فَرَّغ ما حفظه على ورقة الإجابة لينتقل بعدها إلى المرحلة التالية ، فلا عجب بعد هذا أن يحس المربُّون فى العالم الإسلامى بأن ثمة ضعفاً هائلاً فى المستويات التعليمية المختلفة .

وقد يسعى الوالد فى البيت لتربية ولده : بأن يفرض عليه مجموعة من نوافل العبادات مثلاً ، دون أن يهتم بطريقة التعليم

ومدى استيعابها ، وقد يكون الشيخ فى مسجده داعياً إلى الفضائل ، غير أن سيرته الذاتية تناقض هذا ، فيرى جلساؤه القريبون منه تصرفات بعيدة عن كلامه ، وهو على منبره ، وقد لا يكون لدى وسائل الإعلام منهج جادٌّ فى عملية التربية والإصلاح والتحصين ، فتعرض برامج يختلط فيها الصالح بالطالح .

إنَّ التربية التى نعنيها فى هذا الشأن هى التى تعتمد على ملاحظة طريقة عرض المادة ، ومدى استيعابها ، وما مناسبتها للمرحلة ، وما الأوليات التى ينبغى للمرء أن يقدمها ، ومدى التخطيط فى العملية التربوية والتوجيهية وما مدى التزام القائمين بها ، وما المنهج الذى يسير عليه العضو والجماعة ، وما طبيعة العلاقة بين المربى والفرد ، والعلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض ، وما حجم آمال هذه الجماعة وآفاتها واهتماماتها ... ؟

وذلك كله فى مقابل أن يكون فى المؤسسة التربوية ـ كالبيت أو المدرسة ـ إهمالُ أو سير على وحى عرف خاطىء أو كثرة كاثرة من مواد التعليم التى تعتمد على (الكمّ) من غير تمثُّل وتطبيق هادف متدرَّج .

وقبل أن أعرض عوامل تحصين الفرد فى نظرى ، يحسن بى أن أشير إشارة سريعة لبعض مؤسسات التربية والتوجيه وهى :

١ ـ البيت :

أشار الرسول ﷺ فى بعض أحاديثه إلى أن الفرد إنما يولد على الفطرة ، وتحدث عن دور أبويه حيث إنهما المسؤولان المباشران عن توجيهه ليكون فى المستقبل عضواً منتمياً إلى دين معين ، «**كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه وينصِّرانه ويُمَجِّسانه**»[١] ، ولا خلاف بين القائمين على عمليات التربية والتوجيه فى أهمية البيت ، فالبيت الذى يعى تأثيره ويدرك أهمية هذا التأثير يسعى فى إرساء معالم الجو الصالح الذى يتنفس فيه الأبناء الهواء النافع ، وتجرى فيه العملية التربوية على هدى وبصيرة من المبدأ والتطبيق ، والبيت إن أُحْسَن فيه تربية الأبناء فإن المجتمع الكبير سيستقبل الأعضاء الذين يحسنون توجيه دفة قيادته ، وبذلك يكون البيت المحضن الأول الذى يرعى الطفل فى مراحل تكوينه الأولى ، وثمة خطأ شائع على ألسنة الناس وتصرُّفاتهم وذلك فى التقليل من أهمية البيت فى تكوين الطفل المنهجى والعَقَدىَ ، وهذا نابع من الإلف المستمر وكأن لسان الحال يردِّد (مِزْمار الحيِّى لا يُطْرب) ، وهذا خطأ بلا شك ، إن رب البيت إن توجه إلى وسائل يضيع من خلالها وقته ولم يلتفت إلى توجيه ناشئته ، يترك هذه (العجينة) الخام من الأبناء إلى غيره ليصنع بها مايشاء ، .

وقد يَتَعَلَّل رب البيت بضيق الوقت وإنشغاله فى أمور المعاش ، وتلك حجة ليس لها وجه ، فتدبير أمور البناء الفكرىِ لناشئته ليس

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٢٣٣/٢ .

أقل شأنا من تدبير أمور الطعام والشراب .

وثمة مهمة كبيرة تقع على عاتق البيت ، وهى توجيه الابن إلى نوع الدراسة أو المهنة التى تناسب قدراته وأمكاناته ، فهم أعرف الناس بما يناسبه ، إلى جانب الاستئناس برغبته .

٢ ـ المـــدرســـة :

يبدأ الطفل دوامه المنتظم فى المدرسة ابتداءً من سن السادسة ، ويبقى فى مراحلها التعليمية المختلفة إلى أن يصبح على رأس عمل معين يفيد منه فى معاشه ، ويفيد مجتمعه بما يعطيه من خبرات مكتسبة ، وعلى هذا فإن المدرسة من أخطر المؤسسات التربوية التى يقضى فيها الفرد شطراً كبيراً من عمره ، فمن خلالها يتصل بالآخرين من زملائه ، وأساتذته ، ويتعلم منهم ، ويؤلف عبر هذا كثيرا من تصوراته ، ومن خلالها يلتقى أشكالا من القدوة الحسنة والسيئة ، ومن خلالها يمر بالمناهج المرتجلة والمدروسة ، ويقرأ ويتثقف ، ويشق طريقه على نحو سليم ، أو يكون سلبياً غيرَ عارف طريقة المناسب له ، والمدرسة ـ إنْ أحسن الإفادة منها ـ أداة تحصين وتوجيه مهمة ، وذلك لما تهيِّئه طبيعتها عبر برامجها وأنشطتها من بناء فى كيان الفرد .

٣ ـ المسجـــد :

للمسجد فى الإسلام أثر كبير فى تهذيب النفوس وتوجيهها للقيام بدورها المرتقب ، والإسلام يوجِّه المسلمين إلى ارتياد المسجد

من خلال صلاة الجمعة وصلوات الجماعة ، ومن هنا فإن ارتباط الفرد بالمسجد ارتباط وثيق ، ودور المسجد الذى لا ينبغى أن يُتَخَلَّى عنه ممكن عن طريق تحويل المسجد إلى خلية حية يمارس روادها أنشطة مختلفة : من تعليم وتربية وتطبيق عملى لكثير من مناهج الإسلام وآدابه .

إن المساجد العامة ومساجد الأحياء يُنتظر منها أن تنهض بواجباتها المتعددة فى بناء شخصية الفرد والجماعة بناءً متوازناً يحقق التحصين المرجوَّ من خلال برامجها المدروسة .

٤ ـ وسائل الإعـــلام :

على وسائل الأعلام فى عصرنا الحاضر مسؤولية كبيرة فى توجيه الفرد والأمة وذلك لِمَا تملكه من إمكانات ضخمة ، فما من بيتٍ يخلو من إحدى هذه الوسائل كالمذياع والتلفاز والصحيفة والشريط ، كما أن ضعف توجيه البيت وتعثُّر المدرسة فى القيام بدورها الكامل يوسع من دائرة الأهمية التى تتمتع بها وسائل الاعلام فى التوجيه التثقيف ، وحفظ مقومات الأمة وثباتها أمام التيارات المختلفة ، وفى سبيل تحصين الفرد والجماعة . إن هذه الوسائل ـ بما تملكه من طاقة الانتشار والتأثيرـ تستهوِى الكثيرين لمتابعتها والإصغاء إليها ، فماذا أعددنا لهذه المهمة التى تستلزم التخطيط والمتابعة والمادة الهادفة الناضجة ؟ .

٥ ـ مؤسسات أخـــرى :

وهى كثيرة ، كأنشطة المراكز الثقافية والكتاب الذى يستقطب

الأذهان ، ومنظمات الدعوة ، وجمعياتها ، وما تدعو إليه من أنشطة ....

- - -

عــوامل تحصين الفــــرد

إن تربية الفرد تربية صحيحة لها أكبر الأثر فى تحصينه ، والتربية بهذا المفهوم تحمل دلالات وأبعاداً عريضة ، فهى ليست مقصورة على تطبيق نظرية محددة ، وإنما تتوجَّه نحو شخصية الفرد لتسوقها نحو منحى مدروس دراسة ناضجة بعيدة . ومظاهر هذه التربية يمكن أن تبدو فى المعالم الآتية :

(أ) تربية الفرد فى أية مؤسسة من مؤسسات التربية والتوجية على تطبيق الشعائر والأحكام الإسلامية بحرص ورغبة ، مع كل الأحوال التى يمر بها هذا الفرد الذى هو مَحَلُّ العناية ؛ وذلك لأن تعويده على التهاون فى أداء الشعيرة الصغيرة قد يجر إلى التهاون فى تطبيق الشعيرة الكبيرة التى ورد التأكيد علها ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وكيف نرغب فى نشر الدعوة لدى الآخرين من أفراد وشعوب ونحن لن نتمثَّلها ، فإن فاقد الشىء لا يعطيه ؟ ، إن تربية الفرد المسلم فى أى محضن كان ــ فى البيت أو المدرسة أو المسجد أو غير ذلك ــ ينبغى أن تركِّز على أن سعادة الفرد وعزَّ الأمة لا يكونان إلا بالتطبيق الكامل لما جاء به هذا الدين من توجيهات ، كما أن التهاون وتربية الفرد عليه سيعطى إشارة البدء

فى التفلُّت ، والأمة التى تجعل أفرااها يتفلتون من التمسك بعقيدتهم وتفصيلات شريعتهم سوف تكون عرضةً للانسياب والتميُّع والذوبان فى غيرها من الأمم ، فيكون من السهل أن تُفْتَرَس ، ولعلنا نذكر فى هذا المجال محاولات دوائر التنصير والاستشراق أن يثيروا الشبهات والشكوك فى مجموع تراثنا ، ويربطوا أجيالنا بمثال الغرب ، ويُنْقصوا مِنْ قَدْر أداة التعامل مع النصوص الإسلامية وهى اللغة العربية .

ويعتمد تطبيق الشعيرة والحكم الشرعى على قيود معينة ، نذكر منها :

١ ـ تربية الفرد على احترام مجموع الشعائر والأحكام والتزامها ، وتعويده على تجاوز الانتقاء والانتقار من هذا المجموع الى الاهتمام بها كُلاًّ مجموعا ، وذلك لأنَّ ٱلجَرىَ على عادة الانتقاء سينتهى إلى نتائج تضر بالفرد وبالأمة علة السواء ، حيث إن الارتياح للشعائر العبادية ـ التهذيبية ـ مثلا ـ إذا ما اقترن بفطرة الانسان التى تحضُّه على أن يلتقى غيره سوف يوصل إلى تجمُّعات تقتصر على التربية التهذيبيَّة ، وتهار جوانب أخرى مهمة من أنظمة هذا الدين ، كما أنَّ الإقبال على التفاعل مع بعض النصوص وإهمال غيرها قد يوصل إلى اندفاعات حماسية غير مناسبة ، إن المطلوب أن نربى أجيالنا تربية متوازنة ، يكون فيها الإهتمام بالنوافل مثلاً ، مع خلق كراهية الغيبة ، مع التنبيه على أهمية الحكم فى الإسلام ، إلى جانب طرح البدعة ، كل أولئك يسير فى خط واحد متوازن ، إن من مشكلة المسلمين اليوم إضعاف هذا التوازن وتضخيم جانب على

جانب ، وهذا يجعل عملية التحصين متعثِّرة ، حيث انها لا تبنى البناء المنشود بإحكام ورشَد ، ولا يكون هذا إلا بأن نُقْبِلَ على معطيات الإسلام كُلاً مجموعا .

٢ ـ تربية الفرد على احترام الجهود المبذولة لخدمة علوم هذا الدين ، صحيح أنه ليس فى إمكان أحد أن يُلْزمنا اتباع رأيه ، لأنه ما من فرد إلا ويؤخذ من كلامه ويردُّ ، ماعدا صاحبَ هذه الرسالة ﷺ ، ولكن هذا شىء وتربية الفرد على عدم التسرع فى الحكم على آراء الآخرين ، أو التقليل من شأنها ، أو تجريحها شىء آخر ، ولا ريب أن أجيالنا بحاجة إلى هذا الكنز الوفير من الجهود الفقهية وآراء السلف ، على اختلافها واختلاف مدارسها ، فإنَّ العناية بهذا التراث ودراسته تعمِّقان الصلة بهم حلقات هذه الأمة ، وأمةُ بلا تراث وبلا تاريخ أمة قاصرة لا تملك إمكانات متابعة دورها وثباتها ، إننا لا ندعو إلى العناية بالفقة الإسلامى السالف لأنه سالف ، فليست القضية هى احترام القديم لقدمه ، وإنما ندعو إلى تربية أجيالنا على تقدير ما بُذل من جهود لخدمة هذا الدين مع ضرورة استئناف هذا الدور ، أمَّا ما نأخذه اليوم وما ندعه من مجموع الجهود السالفة فهذا يقرره أهلُ الذِّكر اليوم ، وليس يقرره مَنْ لم يعرف طبيعة البضاعة فلم يسبر غورها بالتعمق والدرس .

٣ ـ إن الإقبال على مجموع الشعائر والأحكام وترك الانتقاء بحسب رغبة الفرد الأمر الذى أشرنا إليه فى الفقرة الأولى ، لا يعارض مسألة الرخص والعزيمة ، حيث إن كل حكم نصَّ عليه الشارع يعد من مجموع الشعائر والإحكام ولو كان يحمل رخصةً أو

سَعَة ، ومن هنا فإننا لا نقصر الحض على احترام النصوص على ماكان منها يحمل عزيمة ، غير أنَّ هذه الرخص التى عددناها من مجموع هذه الأحكام ينبغى أن تكون قد خُدِمت وحُقِّقت وأَخَذَتْها الأمة بالقبول .

٤ ـ تقع مسؤولية الترتيب بين أوراق الشعائر والأحكام على المربِّى ، فهذا ـ مثلا ـ رجل يعيش فى بيئة جاهلية تباشر كثيرا من المظاهر الجاهلية ، أقبل على المناخ الإسلامى ، فخير للمربى أن يتدرج معه بالأَولى فالأَولى ، فيصحِّح عقيدته ويبِّين له الفرائض ، وبعد ذلك يشار إلى النوافل والسنن وهكذا ، ومن خلال ذلك يسعى المربى إلى تحقيق الصحبه الحسنة ورَدْفِها بالمطالعة الهادفة للوصول إلى تحسين حاله وفق حياته الجديدة .

إن تقديم المادة التى تناسب المُسْتَقْبِل يدل على أن المُرْسِل واع لمهمته خبير بأبعادها ، وأىُّ عمل لا يجرى على هذه القاعدة يلزمه إعادة النظر فى منهجه ليكون الأداء والمسار محققاً للغرض المطلوب .

٥ ـ إن أعراف الناس وطرائقهم فى مباشرة الشعائر والتوجيهات الشرعية ليست ملزمةً واجبة ، إنما الملزم الواجب هو المضمون الشرعى وليست الوسيلة ، مالم ينصَّ الشرع على تعيينها .

إننا يجب أن نفرِّق فى تعاملنا مع الأحكام الشرعية بين أن يكون النص يطلب تحقيق أصل عام ، أو أنه يطلب تحقيق فرع من الفروع ، ومن هنا يأتى تأكيدنا أو إباحتنا أو حَظْرنا ، وهذا ـ فى رأيى ـ لا يتعارض مع مقولة علماء الحديث بأنَّ مِنْ خوارم المروءة الاصطدام مع عُرف المجتمع المسلم ، وقد عدّوا مخالف العرف

خفيفاً ، وقد لاتُقبل روايته عندهم ، والجمع بين الأمرين عندى : أن نقرَّ أولاً بأن العُرْف ليس دينا ، ولا تتحول مراعاته إلى الوجوب إلا إذا كان يستند إلى نص ، فإن اتفقنا على هذا سألنا : هل ثمة ما يَسُوق إلى هَجْر العرف ، وهل البديل الذى باشره مخالف العرف يحمل مضموناً ذا قيمة ، فإن كان الجواب بالنفى قلنا ما يقوله المحدِّثون : ليس بمحرم ما تباشره ، ولكنك خَرَمْتَ المروءة .

(ب) **ينبغى للمربى والقائم على ثغرة من ثغور العمل الدعوى أن يلاحظ عنصر تطبيق الفرد** لمنهج المؤسسة التربوية أيا كانت ، وذلك لأن البرنامج الذى وضعته هذه المؤسسة لتنمية شخصية الفرد وبنائها يلزمه متابعة جادَّةِ ونظرة تقويمية مطردة ، فما أثمر مع هذا العضو قد لا يُثمر مع آخر ، وذاك يُبدِي اهتماما وفرد يُبدِي تسيُّباً ، وقلة مبالاة ، وآخر قد فهم بعض المسائل فهما خاطئا فيه عِوَج ، إنَّ عمليةَ المراجعة للحسابات وملاحظة تطبيق الفرد يضمان تحقيق الكثير من البرامج التى عزمت المؤسسة التربوية على إنجازها .

على انه يجدر بنا أن نعلم أن هذه الملاحظةَ والمراجعة والتبصُّر والتقويم ينبغى أن يُقيِّد كلٌّ أولئك بغرض الترشيد لا الانتقام ، ويهدف التوجيه لا الأذى ، وذلك لأن المرضَ والضعف والتعثر والتلكؤ أمور لابد أن يمر بها المربون وينبغى أن يُعِدُّوا فى مقابل ذلك أسلحة الصبر والتخطيط والاستيعاب والرغبة فى المتابعة ، نقول هذا لأننا على يقين من أن إهمال ملاحظة الفرد والتجاوز عن توجيهه وتبصيره يجعل هذا الفرد يفقد الثقة بجدوى المنهج وأهميته ، وقد

ينبهر إذا ما اطلع على المناهج الأخرى وينساق معها ، وقد يكون سبب انحرافه موقفاً مرَّ به دَلَّ على غلطة المربى أوضعفه .. إن مجموع هذه الاحتمالات قد تؤدى إلى تعثر عملية التحصين المنشودة .

ويدخل ضمن إطار الملاحظة (الملاحظة الهرميّة) فمسؤول التعليم مثلا يلاحظ الإداريين عنده ، وهؤلاء يوجِّهون مدير المدرسة ، والمدير يقوِّم عمل المدرس ، والمدرس يبصِّر طالبه ، ثم يتابع البيت مهمة المدرس ، وتدعم هذه الملاحظة التوجيهية الأنشطة المختلفة داخل المدرسة وخارجها ، كالمراكز الثقافية والمعارض والرحلات ، فتكون الملاحظة بعد ذلك (تراكميَّة) حيث تتعاون مؤسسات المجتمع المختلفة على بناء شخصية الفرد وتكوينها بما يناسب منطلقاته .

(ج) **تربية الفرد على مواجهة الجديد من مسائل الفكر** وتياراته وأبعاده ، وأصحابه ، وذلك بأن يطَّلع الفرد على الجديد ويبيِّن المربِّى له أخطاره ، أو ايجابياته أو هما معاً ، وكيف يستفاد من هذه التيارات ، وما دلالاتها وأوجه الوقاية منها ، ومن هم أصحابها وما دوافعهم وما أوجه معارضة أفكارهم للإسلام وما أوجه الاتفاق ؟؟ .

ينبغى للفرد أن يطَّلع على مافى عالمه ؛ وذلك لأن وسائل الإتصال الحديثة جعلت العالم مفتوحاً ، فإذا بصَّرنا أفرادنا بحقيقة عالم الفكر واتجاهاته وتياراته كان خيرا لأولئك من حُرْمانهم توجيه ما فى هذا العالم وتقويمه ، وقد يحاول بعض أصحاب الاتجاهات

الهدامة أن يروِّج لبضاعته فى إحدى وسائل الإعلام ، مثلا فيُخْفى ويزوِّر وينمِّق ليظهرها بمظهر قشيب ، وقد لايجد الفرد المسلم مَنْ يعرض له دراسات علمية جادَّة عن الفكر الآخر ، وقد لا يكون هذا الفرد متعمقا على نحوٍ كافٍ بإحدى الجوانب فتزل قدمُه فى الفهم ويذهب إلى تفسيرات ، أو قناعات فى غير محلها .

وتتضح الحاجة إلى تزويد أفرادنا بتعريف مفصل عن محيطهم عندما نؤكد على أنَّ العالم اليوم أصبح مفتوحا ، فقد يُبتعث واحد منا أو يحاور صاحب عقيدة منحرفة من أبناء جلدتنا ، وقد يستمع إلى اذاعة موجَّهة ، أو يلتقى شكلاً من أشكال الدعاية والترويج ، فإذا كنا قد رعينا شخصية الجيل بالتوجيه والتعريف والتبصير كان جيلاً قريبا من التحصين المتين الذى يلتقى الرياح من حوله فلايَهِنُ أمامها ولا يثير الشكوك وسوء الظن بما عنده .

على أنَّ فى تمكين الفرد من الاطِّلاع على الجديد بعض القيود :

١ ـ لاتُعْرض الأفكار من خلال أبواقها الإعلامية التى تستخدم الإسدال على النقائص وتسويغ الفضائح ، وادِّعاء الفضائل الخيالية كأن تقدِّم لولدك أو تلميذك كتابا عن الشيوعية أصدرته السفارة الروسية فى بلد ما ، إننا إنْ أفسحنا المجال لهذا المبدأ حَوَّلنا ساحاتنا إلى معرض للفكر المنحرف لكى يصول ويجول وإنما نقرُّ مبدأ الاطلاع على أفكار الآخرين ولا نرى مانعا من ذلك ، وذلك لأننا نثق بديننا وقدرته على أن يهيمن على كل فكر إنْ تلاقحت الأفكار وتناظرت ، ونقول : إن كان الفرد مقتدراً على أن يواجِه أصولَ فكر معين فإن على المكتبات أن تمكِّنه من ذلك ،

وإن كان الفرد فى مرحلة التكوين ولم ينضج بعد عرضنا له الفكر الآخر بأقلام ناضجة تُنْصف فى عرضها وتنشد الحقيقة ، ويكون العرض من حيث حجمُه ومدى التعمُّث فى مناقشته على حسب مرحلة الفرد المستقبِل التربوية والتعليمية والتثقيفية .

إننا نود لو نعوِّد أجيالنا على التمييز بين الغثِّ والسمين ، ونربِّى فى إحساسهم الوعى بحقيقة أى فكر طارىء ، وكما قال أحد المربين : (إن الإنسان ذا البعد الواحد تؤثِّر فيه الدعاية المتقنة ، ولو تحصَّن بأكبر قدر من سطحية العقل واليقظة الظاهرة) . إن البقاء على جدول واحد وحَجْز الأجيال على ضفافه قد يجعل هذه الأجيال إن أتيح لها أن تطلع على الجداول الأخرى ، ـ ولا سيما ان كانت تربيتها خاطئة ـ ، تهيم فى الجديد وتذوب فيه ، وذلك لأن إغراءات الجديد قد تَطْغى على المعتادِ تَنَاوُلُهُ ولو كان هذا الجديد أقل شأنا ، ولعلنا نذكر فى هذا الصدد موقف كعب بن مالك رضى الله عنه الذى تعرَّض لهزة عنيفة يوم جَفَاه المجتمع المسلم كله بسبب تخلُّفه عن غزوة تبوك ، فقد عرض عليه من خلال رسالة ملك الروم أن يرحل إليهم (على الطائر الميمون) فوضع الرسالة فى (التنور) ، روى البخارى فى شأنه حديثا يحمل أبعد الدلالات ، وأعمق الدروس ، يقول فيه كعب : (فبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام مِمَّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : مَنْ يَدُلُّ على كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه : (أمَّا بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هَوانٍ ، ولا

مَضْيَعة ، فالحَقْ بنا نُواسِك) ، فقلت : لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيممت بها التنُّور فسجرتُه بها) [1] .

إنَّ تعمُّق كعب بمنهجه وحسن سيرة المنهج التربوى والقائم عليه ، والقدرة على الثبات بعوامل تحصين قوية ... كل أولئك أسباب جعلته يتخذ هذا الموقف .

٢ ـ كما أن مواجهة الفرد بالجديد فى عالم المادة يمكِّن من معرفة هذا العالم والإفادة من (تقنياته) وينبغى لنا أن نستقبل هذا بالمزيد من تقدير الإتقان فى العمل من ناحية ، والسعى الحثيث لاتخاذ المركز المبدَع وتجاوز المركز المستهلك ؛ لكيلا نكون فى عقلية الطفل الذى تستخفه اللعبة الجديدة ، من غير أن يفكر فى أن يكون مُبْدِعَ اللعبة القادمة ، إنَّ توجيه أبنائنا للإبداع الصناعى والتكنولوجى والحربى وتقديم الإمكانات اللازمة لذلك يجعلنا نبدأ فى معرفة الطريق الصحيح فى عالم القوة الذى نعيشه ، ويحقق المزيد من الثقة فى الإمكانات الذاتية لهذه الأمة ، وإذا نشأ الفرد منا فى وسط يتعود على الاستهلاكية وانتظار عطاء الغير ـ وقد لا يُعْطى هذا الغير حاجتنا اللازمة كما فى السلاح الحربى مثلاً ـ فإن هذه النشأة ستهدر كل ثقة بالنفس ، فتنمو عقدة (الخواجة) أو النقص ويكون أمرُ الاعتماد عميقاً ثابتا .

---

(١) البخارى (كتاب المغازى ٧٩) الفتح ١١٥/٨ .

(د) **تربية عنصر التعريف بمسؤولية المسلم فى الحياة** : ، فقد خلقه الله ليحمل رسالة عالمية ، وعليه تقع مسؤولية إرشاد الشعوب الضالة ، وهو يحمل منهجا ربَّانيا بعيداً عن قصور التصور البشرى ، وهذا التعريف بمسؤولية المسلم له عدة حلقات :

١ ـ الحديث عن أهمية الشريعة التى يمتلكها المسلم وميزاتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فلم ينته عصرها ولم تنتهِ صلاحيتها وإمكان عطائها وهيمنتها ، ولم تستنفد دورها .

٢ ـ الحديث عن التاريخ المجيد للمسلم وكيف كان المسلمون قادة العالم ، فهم الذين حَطَّموا أكبر دولتين فى عصرهم ليدخلوا عليهم نور العلم والدين الحق ، ثم انساحوا شرقاً وغرباً ينشرون رسالة الله ، ولا تقتصر عظمة التاريخ على البطولات وقيادة العالم ، وإنما تتجاوزها إلى عظمة البناء الحضارى الذى قَدَّمه الانسان المسلم واعترف به المُنْصفون من المفكرين الغربيين .

٣ ـ ولعل مسؤولية المسلم تتعاظم عندما يعلم خواء الحضارة الغربية ، وحاجة أفرادها الفطرية إلى غريزة التديُّن ، فلم يُشْبعوا هذا الاتجاه الغريزى من خلال الديانة النصرانية التى انسحبت من واقع الحياة ، ويقينا لو أن المسلم أدرك مسؤوليته ووثق بنفسه ، ومضى يحمل هذه الرسالة بجدية وإخلاص لدخل الغربيون فى دين الله أفواجاً ، ولكن المشكلة أنهم عندما خاب ظنهم بالنصرانية التى حاربت فى القرون السالفة العلم والعلماء ، ولم تقدِّم شيئا ذا بال لمسيرة الانسان عَمَّم الغربى نظرته نحو الأديان ، وحكم عليها حكما متساويا وقال : إنه لن يرتبط بمصدر غيبى .

على أن الحديث عن التاريخ وأمجاده له ظل سلبي عندما يقف الناس على ضفافه ، ولا يطيقون أن يتجاوزوا هذه الضفاف لمتابعة المسيرة ، حتى كأن طريقة الحديث عن التاريخ تُشْعرك بأنَّ أمة التاريخ السالفة يستحيل بَعْثها من جديد ، فهى أقرب إلى الخوارق ، ونحن قد كُتِب علينا أن نبقى فى مرقدنا نتسلى بحظوظهم ونتأسَّى بأمجادهم الدارسة . إن دراستنا للتاريخ ولعظمة المسلمين نريدها أن تكون فاعلة دافعةً لليقظة والحركة لاستئناف الإبداع من جديد ، فإن الدين الذى أيقظهم ما يزال قادراً على أن يدفع غيرهم من جديد ، إنْ هم أقبلوا عليه كما أقبل أولئك القوم .

(هـ) **السعى فى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة الكامنة فى تصورات الفرد** : وهذا التصحيح يساهم فى عملية التحصين المطلوبة ، وفى تحقيق الهدف منها ، ومن هذه التصحيحات :

١ ـ يسعى المربى فى عملية بنائه للفرد فى تذويب المعانى الزائفة التى تعطى للفرد حق الاستعلاء على الآخرين بمجرد انتمائه إلى عصبية من لون معين ، أو عنصر معين أو قبيلة أو عرق أو بلد ، وذلك فى مقابل نشر مبدأ ﴿ **إن أَكْرَمَكم عند الله أَتْقاكم** ﴾ [(١)] ،وفى الحديث « **أكرمُهم أتقاهم** » [(٢)] ، فلا قيمة ـ فى ميزان الإسلام ـ لأى شكل من أشكال هذه الجاهليات ، فى الحديث « **ليس منا مَنْ دعا إلى عصبية ، وليس منا**

---

(١) الآية ١٣ من الحجرات .

(٢) رواه البخارى (الأنبياء ١٤) الفتح ٤١٤/٦ .

مَنْ مات على عصبية »[1] .

إنَّ تَثْبيت تلك المعانى الزائفة فى أذهان الجيل يجعل التفرقة ناشبة بين أفراده ، ويقدِّم مثالاً مشوَّهاً عن القيم الحقيقية ، وسيبدو أفراد الجيل فى شرذمة وتفرقة تحكمها عصبيات ضيقة ، وبذلك نكون قد خسرنا عاملاً مهماً من عوامل الائتلاف الذى يُظهر الأمة بمظهر القوة والإحكام اللازم لعملية التحصين المنشودة .

٢ ـ تربية الأمة على العناية بأوقاتها وحسن استثمار تلك الأوقات ، ان الذى شاع فى طبقات الأمة على اختلافها ، أن لا ضَيْر علينا من إتلاف أوقاتنا بما لايُغنى ولا يدعم الخطوات اللازمة للبناء ، والمطالعة فى كتب السيرة ، تدلنا على أن الرسول ﷺ كان ينظر إلى الوقت فعلا نِظْرة استثمار دقيقة ، فلا يعرف إضاعة الوقت وإتلافه ـ كما هو معروف اليوم ـ ومسؤولية المربى فى هذا كبيرة حيث يغرس فى أذهان مَنْ تقع عليهم العملية التربوية أهمية الوقت وتنظيمه واستثماره .

٣ ـ تربية الفرد على أن المال ليس أكثر من عامل من عوامل البناء الحضارى ، وإنما الأصل فى الحضارات ومسيرتها وعطائها هو الانسان نفسه عندما يتفجر حيوية وفكراً وقدرة ورغبة فى البناء ، لقد درج بعض الأفراد على أن امتلاك المال يعنى الحضارة والسيادة على البشر والنوم ملء الجفون ، وقد ضمن حذافير الدنيا ويتبع هذا التواكل والتوانى والإغارق فى انتظار معطيات الآخرين ، وهنا

---

(١) رواه أبو داود (الأدب ١٢١) ٥/٣٤٢ .

يسعى المربى فى تثبيت معنى أن المال نعمة من الله ينبغى أن يحسن الاستفادة منها وذلك بمعرفة حق الله فيه واستخدامه فى أوجه الخير ، والاستعانة به فى تهيئة الإمكانات المختلفة لخلافة الله فى الأرض ، وذلك كله إلى جانب حركة الإنسان وسعيه فى الوصول إلى بناء حضارى واسع الرقعة طيب العطاء ، وهذا المال وإن قل أو كثُرَ فالمسيرة الحضارية ينبغى أن لا يتوقف نشاطها وتدفقها .

٤ ـ يدرك المخلصون من المفكرين والمؤرخين ما يتضمَّنه تاريخنا الإسلامى من كتابات تستقى من الإسرائيليات أو تعتمد على سند ضعيف ، أو يمضى أصحابها لإشباع اتجاه مذهبى معين ، وقد جرَّت هذه الروايات على تاريخنا الإسلامى من الويلات الشىء الكثير ، حيث استغلها المستشرقون والمنصِّرون وأصحاب الهوى من أبناء جلدتنا ووسَّعوا من دلالاتها واستثمروها استثماراً سيئا للوصول إلى استنتاجات معينة تخدم تفكيرهم ، فأبو ذر الصحابى الجليل ، يصبح عند بعضهم (ماركسياً) متطرفا ، وحركة القرامطة (انتفاضة) اشتراكية ، والحلاج فيلسوف متحرر ، وهارون الرشيد (زير نساء) ، والرسول ﷺ يتصرف تصرفات شهوانية فى زعمهم ، ومن هنا فإن على مؤرِّخينا أن يعيدوا كتابة التاريخ الإسلامى ويسعوا لتصفيته من الشوائب وبيان أخطاء بعض المؤرخين القدماء ورواياتهم الضعيفة من مثل صاحب (الأغانى) .

وعملية تحصين الأمة تحتاج إلى الاعتماد على نصوص تاريخية موثقة تعرضت للدراسة والتقويم ، وذلك لأن مثل هذه الأجيال تحتاج إلى التعرف على حقيقة تاريخها وتاريخ نبيها ﷺ ، ولا يمكن

أن نترك الأمر دون رعاية وتصفية وتقويم .

نحن لا ندعو إلى الغاء الروايات القوية التى تشرح بعض الجوانب التاريخية التى كنا نتمنى ألاَّ تحصل بين الصحابة مثلاً ، أو بين الأمويين وآل البيت مثلا ، وإنما ندعو إلى تطبيق منهج نقد الروايات عند العلماء على رواياتها ، فإن ثبتت قلنا : لا نحبذ تصريف طاقاتنا اليوم بالحديث الطويل عن حجة معاوية أو على (رضى الله عنهما) فى الحرب بينهما ، لأنه لافائدة اليوم مِنْ عَرْض هذه الاختلافات فى وجهه النظر ، لأن هذا لا يقدِّم ولا يؤخر ، كما أننا نعتقد بأنه لا يجوز أن نذكر الصحابة بما لا يليق بهم أمام أجيالنا ، إننا إنْ شرعنا فى دراسة تاريخنا فعلينا أن ندرسه دراسة المعتبر الذى يود أن يفيد من أمسه ليومه وغده . وليس من صالحنا أن نغيِّر التاريخ الذى ثبت بروايات قوية بحجة أن فيه بعضَ الحوادث أو الأقوال التى نستغرب أن تصدر من فلان القائد أو الوالى أو الفقيه ، لأننا نرى أن هؤلاء بشر ، والمعصوم هو الرسول ﷺ فحسب ، وليس شرطاً أن نطلب لكل تصرف ما يبرره ، وليس شرطا أن تستوى استعدادات الناس وقوة ارتباطهم بأخلاق الإسلام وآدابه ، كما أن الحكم على بعض الروايات من زاوية العرف الجارى اليوم حكم فيه جَوْر ، والمعيار الحاسم ميزان الكتاب والسنة .

٥ ـ زيادة الحرص على معرفة الشوائب التى تعلق بذهنية الفرد من جراء الاحتكاك بالتيارات الجاهلية : فرداً وإعلاماً وكتباً وفكراً ، والسعى فى تصحيحها بما يناسب حجمها وعمقها ، فإن

الحكم على فردٍ منا حكماً سريعا بأنه من أهل (جهنم) فيه جور وظلم ، لأن قدرة الجاهلية على أن تؤثر فى الآخرين تأثيرا باهتا أو عميقا أمر ينبغى أن نقرّ وجوده ثم نسعى فى إذابته وتصحيحه .

ويدخل ضمن التصورات الجاهلية التى تركت أثرها فى الحياة المعاصرة ، الدعوات الهدامة إلى إحياء القوميات والعصبيات الجاهلية التى وأدها الإسلام ثم رتبها الذين أجهزوا على الخلافة الإسلامية لتكون بديلا برّاقاً عن الإسلام ، ولئن تراجعت فى السنوات العشر الأخيرة بعد أن ظهر إفلاسها وبانت حقيقتها فإنها كانت قويةً منتشرة قبل ذلك ، وينبغى للمربين والموجهين أن يشرحوا لأبناء الجيل نشأة القومية العربية وفكرة التعصب للعروبة ، وما أسباب طرحها ، ومن هم أصحاب هذا الطرح . وما أبعاده وخطره ؟ وذلك ليكون أبناء الجيل على بصيرة من أمرهم ، ولينتبهوا إلى حقيقة أى دعوة تنشد إحياءها . ولعل أنسب تحصين لمواجهة هذه الدعوات يبدو فى الإضاءة الساطعة لمرحلة النشأة وعرض الوثائق التى تكشف هذه النشأة ، يقول جورج انطونيوس فى كتابه (يقظة العرب) :

(انبثق فجر حركة العرب القومية فى ديار الشام ، وكان ذلك عام ١٨٤٧ م بتأسيس جمعية متواضعة فى بيروت يرعاها الأمريكان) [1] ، ويقول : (وقد بدأ أول عمل منظم فى حركة العرب القومية عام ١٨٧٥ م بقيام خمسة شباب من الذين تلقوا

---

(١) يقظة العرب ١ .

العلم فى الكلية السورية البروتستنتية فى بيروت بتشكيل جمعية سرية وكانوا جميعا من النصارى ، الا أنهم أدركوا ضرورة اشتراك المسلمين والدروز معهم)[1] ، ويقول : (**وكانت الماسونية قد دخلت بلاد الشام من عهد قريب فتمكن القائمون على الجمعية السرية من حمل المحفل الذى أنشىء حديثا على الإهتمام بعملها وذلك بتوسُّط أحد الأعضاء** »[2] .

ويتبع مثل هذه الوثائق المقتبسة من أقوالهم عرض اهتمام قادة الغرب ومفكريه بالقومية العربية من مثل قول لورنس (وأخذت أفكر طول الطريق فى سوريا وأتساءل : هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطنى المعتقدات الدينية ؟ وبمعنى أوضح : هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحى والإلهام ، وتَسْتبدل سوريا بمثلها الأعلى الدينى مثلها الأعلى الوطنى ؟ هذا ماكان يجول بخاطرى طول الطريق)[3] ، ويقول المسؤول اليهودى أبا ايبان : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نَسَبه الإسلامى بعد الهزيمة الأخيرة ، وفى ذلك الخطر الحقيقى على اسرائيل ، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقى العرب على يقين راسخ بنسبهم القومى والإسلامى)[4] .

ثم نسير بعد ذلك مع حقيقة الداعين إليها وبيان انتماءاتهم من

---

(١) يقظة العرب ٧٩ .

(٢) يقظة العرب ٧٩ .

(٣) الثورة العربية للورنس ص ٧٥ (نقلاً عن : فصل الدين عن الدولة لمحمد كاظم حبيب ص ١١٠) .

(٤) انظر : نظرات فى القرن السالف للكاتب ص ٤٠ .

لدن نشأتها إلى فترة ايجاد رؤساء يتبَّنون دعوتها . ونبين بعد ذلك موقف الإسلام وللشيخ عبد العزيز بن باز . وغيره من علماء الأمة مؤلفات تبين ذلك ، ونعقبه بترسيخ الرابطة الإسلامية التى هى الرابطة الحقيقية ، وبيان الفوائد التى تعود على الأمة من ورائها .

ومن هذه الحركات التى ينبغى للفرد المسلم أن يتعرف على طبيعتها . ورجالاتها وأهدافها حركة الاستشراق حيث إن الكثيرين من أبناء الجيل تأثروا بكتاباتها من ناحية ، وخُدِعوا بأساليبها من ناحية ثانية ، فباتوا على تقدير عميق لكل ما يصدر عنها .

وهذه الحركة تستحق من مفكرينا ومؤسساتنا اهتماماً بعيداً يوازى مايُنفق فى سبيلها من جهود مادية وبشرية ، وذلك لأن أجهزة الغرب مضت تدعم هذه الحركة بإمكانات عالية . ومن أغراضهم فى ذلك : إبعاد دَوْر المسلمين فى الحضارة الإنسانية وإنقاص أثرهم فى العلوم الإسلامية ، حتى إن كثيراً من أساطينهم بنفى هذه الأصالة والريادة عن كثير من العلوم التى نشأت لخدمة القرآن والسنة . وفى جواءٍ بعيدة عن غير المسلمين ، كعلم النحو وعلم الفقه ، فيزعمون أن النحاة المسلمين الأوائل قد اتصلوا بذوى الأديان المختلفة من جنسيات مختلفة ، ودرسوا على أيديهم طريقة بناء القواعد والصيغ وأحكامها . واستفادوا منهم استفادة مباشرة عندما صاغوا قواعد هم على مثال أعمال هؤلاء فى صوغ قواعد لغات أخرى ، كما أن الفقهاء المسلمين أفادوا فوائد مباشرة من تنظيم المجتمعات القديمة وقوانينها .

ومن أعراض حركة الاستشراق : إثارة الشبهات المختلفة فى

التاريخ الإسلامى والعلوم الإسلامية والتشريع الإسلامى ، وذلك بالاعتماد على الروايات الضعيفة غير الموثقة أو المذهبية ، واقتحام البحث العلمى بوجهات نظر مسبقة . وذلك من مثل موقفهم من أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وظاهرة الوحى والفتوحات ، وشخصية النبى ﷺ ، وقراءات القرآن وجمعه ، كما أنهم يسعون فى التشكيك فى قدرة اللغة العربية وتوهين عراها وتشجيع الدعوات الهدامة التى تدعو إلى العامية والكتابة بالحرف اللاتينى ، وإحياء اللهجات العامية .

وعملية التحصين المقابلة التى نراها تبدو فى النقاط التألية :

١ ـ التوسع فى انشاء أقسام الاستشراق فى الجامعات الإسلامية ، وذلك بالإقبال على دراسة هذه الحركة دراسة علمية بعيدة عن الشتم والعاطفة ، تستوعب مؤلفاتها ورجالاتها وتاريخها وجهودها . وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بانشاء أول قسم فى العالم الإسلامى متخصص فى هذه الدراسات فى المعهد العالى للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة . وهو معهد يتبع جامعة الإمام محمد بن سعود على مستوى الدراسات العليا .

٢ ـ إنشاء مجلة متخصصة فى حركة الاستشراق ترصد أعمالها ورجالها ، وذلك للتوعية والردّ المباشر على كل مايثيره القوم .

٣ ـ كتابة الردود العلمية على الشبهات وتوزيعها فى دوائر الغرب المختلفة .

٤ ـ التعرف على مايكتبه أتباع المستشرقين فى ديارنا ممَّن حملوا أسماء إسلامية ولكن فؤاد هم فؤاد مستشرق ضالع ، حيث يتابعون

ما يكتبه المستشرقون ويفيدون منه لمتابعة مهمة أسيادهم ، ولا تجوز الغفلة عن هؤلاء لعِظَم خطرهم .

٥ ـ تصفية كتب التراث مما علق بها من روايات إسرائيلية أو ضعيفة ، أو موضوعة ، حيث يفيد منها المستشرقون فى بناء شبهاتهم وتشكيكهم . إن فى كتب التاريخ والتفسير بعضا من هذه الروايات التى كانت لحركة الاستشراق صيدا ثمينا ، نفذوا من خلالها إلى عوالم كانوا يصطنعونها بالتلفيق بين هذه الروايات .

٦ ـ متابعة أبنائنا المبتعثين الذين يدرسون فى الغرب وبيان ماقد يثيرونه من تسأولات حول جوانب من الإسلام سمعوها أو قرؤوها فى إعلام الغرب .

ويتبع حركة الاستشراق حركة التنصير التى كان لها اليد الطولى فى تنشيط التنصير فى أفريقيا وبعض الدول العربية والآسيوية ، حيث وجد المنِّصرون مرتعاً خصباً لهم فى جَواء الجهل والفقر والعوز ، وقدَّموا خدماتهم لاحتواء الأعداد الكبيرة من المسلمين الذين أقبلوا على الإفادة من عروضهم التى استهوتهم .

والحقيقة أن الهدف الأخير [١] من حركة التنصير كما صرح كبيرهم الذى علمهم الإفك (زويمر) هو زعزعة ثقة المسلمين بدينهم قبل أن يكون الهدف منها إدخال المسلمين فى المسيحية ، وعلى كل حال ينبغى أن تواجه هذه الحركة بجهود مكثفة مدعومة بإمكانات مناسبة ، وذلك بالطرق المناسبة ، ومنها التخفيف من أعباء

---

(١) انظر : هل نحن مسلمون . للأستاذ محمد قطب ١٤٣ .

المسلمين الذين يتصيَّد حاجتهم المنصرون كالمسلمين الأفارقة الذين يتصيد حاجتهم ، وهذه الأعباء عبارة عن ثنائية قاتلة تتألف من الجهل والفقر . ويدعم هذه الجهود إنشاء الراكز الإسلامية فى البلاد التى ينشط فيها التنصير وتزويدها بالدعاة والأطباء والمطبوعات وأشكال الإعلام الهادف ، وكذلك التوسُّع فى إعطاء المنح الدراسية لأبناء الأقليات ودول أفريقيا . وحث الحكومات الملمة على تصفية االوجود التنصيرى فى بلادها ، مع دراسة أساليب الدعاية المضادة لما يثيره هؤلاء فى نشراتهم وإذ اعاتهم .

ومن أمثلة تصحيح تصورات الفرد ماقد يمرُّ بالدارس المسلم على مقاعد الدراسة من نظريات تنطلق من خلفيات إلحادية . إنَّ على وزارات المعارف فى العالم الإسلامى أن تلاحظ تحرير العلوم المختلفة تحريراً يتطابق مع المفاهيم الإسلامية ، وذلك لأنَّ كثيرا من هذه العلوم تتغشَّاها سحابات مظلمة من المادية والالحاد وإقرار المذاهب التى تنفى القدرة الإلهية فى تفسير الظواهر ، إننا لا نهدر قانون السببية فى تعليل الظواهر ، ولا ننكر قانون الاحتمالات فيها ، بل إننا نشجع على الفهم الدقيق لطبيعة مواد الكون حتى نسخِّرها ونذلِّلها لصالح خلافة الله فى الإرض ، ولكننا فى منهج العلوم المختلفة ينبغى أن ننطلق من الإيمان ونغرس ذلك فى أذهان الجميع ، فى جميع المراحل التعليمية .

ومثل ذلك التصحيح الذى يمكن أن نسعى إلى تثبيته فى مناهج التاريخ حيث إن بعضها يتابع أخطاء بعض المؤرخين فى دراسة العصر العباسى والمملوكى والعثمانى ، ويعتمد على روايات ضعيفة أو

مشبوهة المصدر . إنه لا يجوز للفتى المسلم أن يستمع إلى محاضرة فى المسجد عن هدم الخلافة العثمانية وأبعاده ومنفِّذيه ، ثم يطالع فى كتاب التاريخ الحديث ماقد يبرر هذا الهدم بغمط حق السلطان عبد الحميد رحمه الله ، فيقع الفتى فى ازدواجية وتسأولات فى حين أن المنهج الواحد فى كل عمل بنائى تعليمى يعمق المفاهيم ويجعلها تنتمى إلى معان متقاربة .

(و) **السعى فى تقوية صلة الفرد باللغة العربية** : يكفى اللغة العربية سؤدداً ومقاماً عالياً أن الله عز وجل شرَّفها باتخاذ بيانها وسيلة من وسائل صدق نبيه ﷺ ، فكانت حروفها وطرائقها التعبيرية الأداة التى نزل بها كلام الله ووجيه ، ومن المعروف أن الأمم الحية التى تقتحم طريق العز والريادة تهتم بلغتها ، وتربى أجيالها على الاعتزاز بها والإقبال على دراستها ، وأمتنا الإسلامية هى أولى الأمم بذلك لأنها تعد القرآن الكريم وسيلتها الأولى للرقى والتقدم . وارتباط أمتنابه ليس ارتباطاً شكليا لا يعد وتلاوته والتبرك به ، وإنما من أجل أن يكون لها منه طريق ومنهج ، وكيف السبيل إلى ذلك من غير الفهم الواعى للغته ومعرفة أسرارها ؟ .

إن عملية التحصين المنشودة ينبغى أن تضع فى برامجها رفع شأن اللغة العربية وصيانتها وحفظها من العبث والتشويه ، وينبغى أن تعيد المؤسسات التربوية والتعليمية النظر فى طرق تدريس اللغة العربية ، ويقينا لو أنهم وصلوا إلى توهين عُراها وقطعوا الأسباب التى تربط أفراد الجيل بها لحصلوا على صيد ثمين . ومن هنا كان

للغتنا مكانة خاصة فى الحفاظ على مقومات الأمة وتحصينها .

إنَّ مراجعة طرق تدريس العربية وعلومها ضرورة يقتضيها هذا الضعف المنتشر فى أكتساب قواعدها وأساليب التعبير عنها ، حتى أصبحت عند كثير من الدارسين شبحاً مخيفاً على الرغم مما قد يُبْذل من نتائج . والمسألة لا ترتبط بعنصر واحد ، وإنما ترتبط بعناصر متعددة هى : الطالب ، والمدرس ، والمنهج والكتاب المقرر . وأيُّ مراجعات لا تضع فى حسابها مجموع هذه العناصر مراجعات ناقصة قاصرة .

أما ما يتعلق بالكتاب فهل روعى فى اختياره مناسبتهُ للمرحلة الدراسية من حيث سهولتُه وصعوبته وحجم تفصيلاته ؟ وهل قُدِّم إلى الطلبة مضبوطاً إن كان حديثا . ومحققا ان كان تراثيا ؟ وهل يفصل فى قضايا لم يَعُد لها اليوم ضرورة ماسَّة لغير المتخصص مثلا ؟ وهل يتضمن نصوصا فصيحة يطلب من الطالب أن يحاكيها وهل يركز على التطبيعات وكثرة الأمثلة ... ؟ .

أما الأستاذ فتبدو مسؤوليته فى ضرورة مراعاة التطبيق مراعاة مستفيضة وفى كونه متوفراً لديه عنصر الإخلاص للغته وحبها ، وفى كونه بعيدا عن الجفاف والشدة التى قد تؤدى إلى التنفير وضعف الاستيصاب ، وهل تَمَّ تدريب المدرس وتأهيلة على نحو كافٍ للاضطلاع بمهمة التدريس ، هذا إلى جانب الحرص على القاعدة الحية والمثال الحى والابتعاد عن كثرة الأوجه والشواذ فى المراحل قبل التخصص وحث الطلاب على المناقشة والحوار . وعدم الانقطاع عن الدراسة المنتظمة لتحقيق التمثل البطىء ، الذى تطلبه

طبيعة علوم العربية ولا سيما النحو.

ويأتى دور الطالب حيث إن كثرة الصوارف وضعف الجديَّة ، وكثرة التغيُّب والرغبة فى تأجيل مباشرة التمرن والمطالعة إلى أيام الإمتحان . إلى جانب ضعف الأساس وتراكم الكسل وأَخْذ الأمور من مأَخْذها القريب ، كالاعتماد على مايعتقد أهميته ، أو على طريقة الحفظ والسرد من غير تمثُّل ... كل أولئك عوامل تساهم فى تعثُّر العملية التعليمية .

أما المنهج فينبغى لواضعه أن يراعى مدعى مناسبته للمرحلة التعليمية وهل يتضمن مالا يتصل اتصالاً وثيقاً بها . وما مدى مناسبته لزمن هذه المرحلة وما الموضوعات التى تلزم للطالب أكثر من غيرها ؟ وهل هناك مراجعة تقويمية مستمرة له ، وما مدى ملاحظة المسؤولين على تطبيقه ميدانياً .. هذه أهم الوسائل التى تؤدى إلى تصحيح المسار فى تعلم العربية . وبات تقويم طرق التدريس الحالية ضرورة ماسّة وحاجة لازمة ، وإن الوصول إلى نتائج طيبة يُعَدُّ من مصلحة عملية التحصين المنشودة ، لأن فى دعم هذه اللغة دعماً لأمتها وتقوية للأواصر التى تجعلها ثابتة فاعلة .

– – –



عوامـــل تحصين الجمـــاعة

أما العنصر الذى يتوجه إلى الجماعة ، فيهتم بالجوانب التألية :

(أ) تنمية الدراسات والبحوث التى تواجه مايفرضه العصر من قضايا حيوية ضرورية ملحة ، وذلك فى الحقول التألية :

١ ـ فى القرآن الكريم : من المعلوم أن القرآن الكريم هو معجزة النبى ﷺ ، وهو الدليل على صدقه إلى يوم الدين ، وذلك لأن الله شاء أن تكون معجزة الأنبياء قبله محدودة بوقت معين ، فلا تتجاوز عصرهم وأممهم ، فى حين أن معجزة النبى ﷺ لم ترتبط بعصر أو أمة ، وسوف تبقى فى تأثيرها وعطائها ، ومن هنا فإن اقبال العلماء على كنوز القرآن المختلفة ليستخرجوا منها أشكال إعجازه العلمى والبيانى والسياسى والإقتصادى يجعل المسلم دائم الارتباط بقوة هذه المعجزة الربانية .

ومن هنا فاننا ندعو إلى تنمية دراسات الاعجاز المتنوعة فى هذا العصر ، ليكون هذا الجيل مستبصراً بجوانب عظمة كتاب الله . وليزداد ثقة أنه ينهل من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِنْ خلفه ، وهذاان العاملان يعّمقان عملية التحصين المنشودة ، بل ان

هذه العملية لها من هذا الكتاب الكريم معين ثرٌ فى القواعد والمنطلقات . وفى وسائلها وإحكامها لأمرها . وقد تردد فى الآونة الأخيرة أن طائفة من العلماء دخلوا فى الإسلام بعد أن أطلعوا على أطراف من إعجازه العلمى .

٢ ـ فى السيرة : تمتلىء سيرة الرسول ﷺ بكنوز وذخائر تبين دقائقَ من حياته وطرائق تصرفاته فى سلمه وحربه ، وفى بيته ومسجده وفى علاقاته الخارجية والدولية ، وفى تنظيم مجتمعه .

ان تنمية علم فقه السيرة تقدم للناس فى هذا القرن وما يليه أصولاً وقواعد هادية . وبذلك يكون الاطلاع على السيرة من أجل استثمارها لحياة اليوم والغد قبل أن تكون قراءة متعة وتسلية فى كتاب قديم .

إن ارتباط أجيال هذه الأمة بقائدها وسلفها ينبغى ألاَّ يكون ارتباط الإعجاب والتقدير فحسب . وإنما يكون مع الإعجاب والتقدير السير على هداهم فى الحياة المعاصرة ، فيستقى الطالب والمسؤول والمعلم والزوج وغيرهم من السيرة الكريمة ما ينفع لمواجهة السير التنظيمى للمعاش وقضايا الدعوة ، وإن فى اغناء بحوث فقه السيرة بالمزيد من عرض الدروس والتحليلات خيراً كبيراً لا يمكن لأبناء هذه الأمة أن يستغنوا عنه وهم يسعون فى تحصين أنفسهم والثبات أمام التيارات المختلفة التى قد تزعم أن بضاعة الأمس لا تصلح لأسواق اليوم .

٣ ـ فى الفقه : ثمة مسائل مستجدة على الساحة نتجت عن الحياة الجديدة ـ وطبيعة العالم المفتوح الذى نعيش فيه ، حيث تتشابك العلاقات والمعطيات والحضارات وأشكال السلوك المختلفة ، فتثور أسئلة فقهية حول حكم الإسلام فى مسائل لم تكن على عهد الرسول ﷺ والسلف الصالح فيكثر الكلام حولها ما بين تحليل أو تحريم ، فإذا مابقيت هذه المسائل فى أوساط الناس من غير أن تُدْعم ببحث علمى رصين ، تُشْبع فيه بحثاً من حيث الإتقان والتعُّمق والاستيعاب الكامل ، فإن الناس قد يتشككون فى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، ولا سيما مع كثرة هذه المسائل المستجدَّة وكثرة القيل والقال والجدل حولها ، إننا نخشى أن يستغل السكوت أو تقديم مالا غَناء فيه فيتخذ بعضهم من ذلك زوراً وبهتانا وسيلة إلى التشكيك بواقعية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان . وقد يخيم على أفراد الجيل سحابة بأن الإسلام للمسجد . وتسير الحياة فى واد آخر ، أو أننا مضطرون إلى مسايرة العصر ، وهذا كله يؤثر فى عملية التحصين وتمكين أواصر الدعوة ونشرها .

ومن هنا فإن على علمائنا ومراكز البحث العلمى فى الجامعات أن يساهموا فى إغناء هذه القضايا فيستنبطوا من الأصول والقواعد الفقهية وآراء الفقهاء مايلزم لمواجهة مايستجدُّ ويطرأ ، فيكون فى المكتبة الإسلامية مراجع سديدة لها تجعل الفرد المسلم فى راحةٍ نفسية وثقة متكاملة بدينه وانتمائه ، كما أن مثل هذه البحوث الجادة

تخفف من فوضى الجدل فيها ، والحديث الخفيف الذى يسيء أكثر مما ينفع ، نحن لاندعو إلى أن نكون على خفة من أمرنا فنقبل كل جديد لجدَّته ، وهذا ينافى التحصين المطلوب ، كما أننا لا نقبل أن نرفع راية التحريم والرفض أمام كل جديد ، فنسرع إلى الفتوى بالمنع ، وإنما ندعو إلى إعطاء كل قضية حكمها بالدليل والحجة المستقاة من أصولنا وقواعدنا . وبعد ذلك نقول : ثمة فرق بين أن تَدَعَ الحلال لورعٍ ترتضيه ، ولكنك لا تُحَرِّم مباشرته ، وبين أن تقبل الحرام بحجة وتسأهل الناس فيه ، ومن هنا فإن المسألة دقيقة تحتاج إلى المزيد من البحث العميق من عالم متخصص لديه إمكانات عالية ، ومن المسائل المتجددة التى تحتاج إلى بحث وتمحيص كافيين : .

- مسألة التصوير الفوتوغرافى .
- مسألة تحديد النسل .
- قضية طفل الأنانيب .
- مسائل الحج ومشكلاته الجديدة .
- أنواع البيوع المستجدة .
- قضايا الأموال والعقود .
- مشكلات الشركات .
- مسائل البنوك والاقتصاد .
- حكم نجاسة الكحول والمطهرات .

- قضية التأمين .
- مايتعلق بالرشوة .
- حجاب المرأة وتدريسها وسفرها بالطائرة من غير محرم .
- مسألة اللحوم المستوردة .

صحيح أن مثل هذه المسائل الخلافية [1] نابعة من طبيعة الفقه الإسلامى الذى لم يحسم الخلاف فيها دائماً لفتحه باب الاجتهاد بشروطه ، ومن شأن ذلك أن ينتج عنه الخلاف فى الآراء ، ولكن يمكن أن تُحْدَمَ هذه المسائل بالمزيد من البحث والاستقصاء ، واتباع قواعد العلماء المعتبرة فى المسائل الاجتهادية الخلافية .

٤ ـ تنمية الدراسات الحديثة التى تدرس دراسة متأنية متعمقة جوانب الحضارة الغربية بعطاءاتها المختلفة ، وبنائها وأسسها وخيرها وزيفها ، فتكون هذه الدراسات العلمية بمنزلة الكاشف الذى يظهر هذه الحضارة على حقيقتها فلا يكون بين أفراد الجيل مَنْ أَعْمته أو أَعْشَتْه عن الوصول إلى الرأى اليقين فيها .

---

(١) معظم هذه المسائل صدرت فيها قرارات شافية من المجمع الفقهى التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى والمجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الاسلامى (المشرف) .

إن كثيراً من أبناء هذا الجيل فقد الثقة بالمنهج الربانى عندما ضَلَّلته القشرة الظاهرة التى لمعت ببريقها ، فنادى بأن نذوب فى الغرب ، وأن نقطع الصلة بالماضى ، وسار فى مظاهر التغريب أشواطاً بعيدة ، وقد يكون ثمة خطر أكبر من هؤلاء إذا كانوا على موقع المسؤولية فى التوجيه واتخاذ القرار فإذا كان الجيل قد وعى بهرج هذه الحضارة ودرس ظاهرها وباطنها فإنَّ زيف كل دعوى تنادى بالذوبان فى ساحة الغرب سوف ينكشف لكل ذى بصيرة .

نحن لا ندعو إلى كتابة تتهجُّم تهجماً عاطفيا يعتمد على الشتم ويخلو من الحجة والبرهان والاستبصار ، وإنما ندعو إلى التقويم بكتابة وحديث ونظرة علمية ، وفى مجال هذه الدراسات والمحاضرات والحوار البناء يبحث علماؤنا ومفكِّرونا فى مثل القضايا التالية :

- لماذا تفوَّق الغرب مع انحلال أخلاقه ؟
- كيف يسود الغرب مع هَجْره للدين ؟
- لماذا تقدَّم الغرب وتخلَّفنا نحن ؟
- نقد الحضارة الغربية .
- ماذا نأخذ وماذا ندع من الحضارة الغربية ؟
- ما موقف الغربيين من الصحوة الإسلامية ؟
- ما النظريات الاقتصادية فى الغرب وكيف نوازنها بالمنهج الإسلامى ؟
- كيف تعيش الأسرة فى الغرب ؟
- ما أمراض الغربيين وما أسبابها ؟

ـ ما اهتمامات الشباب عندهم ؟

ـ كيف نستثمر ما يجرى عندهم ؟ ، ولنضرب على ذلك مثلاً :

كنت أتجوَّل فى الشارع الرئيسى من مدينة شتوتجارت الألمانية ، مع صديق لى . وإذا بمظاهرة كبيرة منظمة على شكل خط طويل فى كل صف منها رجلٌ يمسك برجل ، أو امرأة تمسك بامرأة ، وذلك من خلال التقاء مريب . ويحملون لافتات تطالب الكنيسة بإقرار رسمى لزواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ، وفى المساء اهتم التلفزيون الألمانى بالمظاهرة وأجرى لقاء مع إحدى المشتركات التى قالت إنها سعيدة بزواجها من أمرأة ، وتدعو المستمعين إلى زيارتها للاطلاع على (الإنجاز) الذى تحقق ، .

مثل هذا الخبر يحسن أن يلقى الاستثمار والتحليل لأبعاده ونتائجه ، وما أشد حاجة المبتعثين الذين يعودون إلى بلادنا إلى توعيتهم ، لأنه قد يحمل بعضهم فؤاداً غربياً ينطلق من تقديس الصنم الغربى فتراه يتكلم مَنْ عَل ، لأن أمامه (أغناما) ويزداد الأمر سؤاً عندما نسبر الرجل فنجده فى الجانب العلمى خاوياً ، وفى تقليده لحياة الغرب وقشوره بارعا .

(ب) رفع كفاءة المنسوبين والعاملين فى الجامعات الاسلامية :

نعنى بالجامعات الإسلامية الجامعات التى تنطلق من المنهج الإسلامى وترفض هيمنة المستغربين والمتشككين . وتنتظر عملية تحصين الأمة من الجامعات الإسلامية الجهود الكبيرة ، وذلك لأنها مراكز إشعاع وبحث وعلم ومواجهة مباشرة مع المد المنحرف .

ويدخل فى هذا الموضوع :

١ ـ رفع كفاءة الطلبة : بملاحظة جهودهم وتربيتهم على الحرص على طلب العلم ، والغيرة على الدعوة وتنمية شخصيتهم بدل الاقتصار على التلقين ، وتأمين الحوافز التشجيعية ، ودراسة مشكلاتهم ، وطلب البحوث العلمية الجادة منهم ، بعد تدريبهم على طرق البحث ، وتنظيم إفادتهم للبيئة من حولهم ، لكى يكون الطالب فعالا فاعلا فى التأثير فى المجتمع من حوله وفى تطوير شخصيته نحو الأفضل .

إن العناية بالطالب الجامعى عناية بترقية المجتمع نفسه ، وذلك لأنه سينتقل بعد تخرجه الى موقع المسؤولية واتخاذ القرار ، فهل استطاعت الجامعة أن تُعِدَّ عقليَّته وتُوَظِّفها لإفادة المجتمع والدعوة إفادة عملية ؟ أو أنه ليس أكثر من موظف يُعْنَى بحاجاته الأرضية المحدودة .

٢ ـ رفع كفاءة المدرِّس : بأن يستحث على أداء النشاط العلمى المطرد ،المكرر ،وذلك لتطوير شخصيته العلمية . ثم استثمار هذا النشاط لرفع كفاءة مَّن يباشر معهم العملية التعليمية ، كما أن انتقاء المدرس الجامعى أمر مهم جدا ، وذلك لأن بعض المدرِّسين فى الجامعات الاسلامية يجعل محور حياته على التحصيل المادى ، فلا يُعدُّ نفسه للعطاء المتقن ، وانما يتجه نحو أمرين : التفكير المادى لتحصيل المال ، والتشكيك بالقدرات واستصغار شأنها ، إن مثل هؤلاء قد يعيقون رفع الكفاءة المطلوبة . ويؤلفون إحباطاً وتخذيلاً ، ويكون من منطلقاتهم تعميق الارتباط بالغرب والاعجاب البعيد

بكل ما يصدر عنه ، والحكم على مجتمعاتنا بالتخلُّف ، وأن لا فائدة من التطوير والتنظيم والبذل ، إننا لا ندعو إلى إعلا الحرب على هؤلاء ، وانما نرى أن هذه ظاهرة مرضية فى الكيان الجامعى تعميق نموه الصحى ، وتجعل العملية التعليمية والنشاط البنائى أقرب الى الشكلية والرتابة دون فاعلية وروح ، ومن هنا كان لزاماً أن نضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وأن نحاور مَنْ يقبل الحوإ منهم ، على أن هذا ينبغى أن يقترن بمنطلق حسن الظن بالمسلم وتقدير الجهود المبذولة .

٣ ـ رفع كفاءة العملية التعليمية نفسها ، وذلك بتطوير المناهج ، وجَعْلِها فى درجة مناسبة لمسؤليات الأمة ودورها ، والتركيز على أن الداعية اليوم مطلوب منه أن يتثقف بثقافة متنوعة ، بالاضافة الى معرفته بواجباته ومؤامرات العدو ومن حوله . إن الاكتفاء بالوريقات والمذكرات يجعل العملية التعليمية فى وضع متأخر لا يليق بالمهمة التى يمكن أن تقوم بها الجامعات الاسلامية ومنسوبوها :

إننا نؤكد على أهمية ما يمكن أن تقوم به الجامعات الاسلامية فى تحصين الأمة ، لأننا نعُدُّها مركز بحث وإشعاع يُصدِّر الفكر الذى نحتاج إليه ، ويُخَرِّج الرجل الذى يساهم فى توعية الأمة ، ويشرح أهداف التيارات المضادة التى تريد زعزعة الأمة ، وهذه الجامعات بما تملكه من إمكانات مادية وبشرية وكفاءات عملية مطالَبة بأن تُطوِّر نفسها ، ومن أمثلة الأنشطة الجادة التى يمكن أن تقوم بها :

١ ـ عقد المحاضرات التوجيهية العامة .
٢ - الإسهام فى خدمة البيئة المحلية بالتوجيه والخدمات المعينة (المساجد ، المستشفيات ، المرور ، الحج ...) .
٣ - الإسهام فى عملية تحقيق التراث .
٤ - تطوير برامج النشاط الطلابى .
٥ - إعداد فرق خاصة تتوجه نحو القرى والأماكن التى تضعف فيها سبل الثقافة العامة بغرض الدعوة إلى الله .
٦ - إصدار المطبوعات التى تساهم عن طريق الكلمة الهادفة فى التوعية والتوجيه .
٧ - تنظيم عمليات الابتعاث وتحديد مدى ضرورتها ، وهل يمكن الاستعاضة عنها ؟
٨ - استثمار أجهزة الإعلام الحديثة فى مجال الدعوة والعلم من مثل : الفيديو ، والافلام الموجهة .

وأود الآن أن أقدِّم بعض المقترحات العمليه بين يدى الجامعات الاسلامية لتكون أمثلة تطبيقية لخدماتها العظيمة التى يمكن أن تقوم بها :

إن هذه الجامعات أولى المؤسسات للاضطلاع بالمسؤوليات الكبيرة التى تنوء بالعصبة أولى القوة ، وذلك لما تملكه من إمكانيات مادية وبشرية وعلمية ، حيث إن ميزانيتها المالية واهتمام الدولة بها ، بالإضافة الى قدرتها على استقطاب العقليات المؤهلة وقدرتها على استقطاب العقليات المؤهلة ، وقدرتها على التعامل مع الأجهزة الحديثة .. كل اولئك عوامل تجعلها جديرة بهذه المهمات ، ولعلنا

نتفق جميعا أن من المشكلات البارزة لخدمة علومنا الاسلامية وخدمة تراثنا قضيتي : فهرسة الحديث الشريف وتخريجه ، وتنظيم الإفادة من مجموعات المخطوطات الموزعة فى مكتبات العالم ، وسوف أحاول أن أقدم بعض الحلول العملية بعد وصف المشكلة الراهنة :

١ ـ المخطوطات :

شهدت الفترة الأخيرة من تاريخنا المعاصر حركة احياء نشيطة للمخطوطات العربية فى مختلف العلوم الاسلامية ، وأقبل الدارسون بحماسة لتحقيق التراث الإسلامى تحقيقاً علمياً ، غير أنه لم يكن هناك أسس ثابتة لعمليتى الانتقاء والتحقيق مما جعل المسألة تكتنفها أشكال من الحَيف والفوضى ، بحق المخطوط والدارسين فلم يَعُد الباحثون يملكون إجابة علمية عن الأسئلة التالية :

- ماذا حُقِّق من التراث وماذا بقى ؟
- ما النسح المخطوطة المخفوظة فى العالم لهذا المخطوط أو ذاك ؟
- هل المخطوط المحقق روعيت فيه أصول التحقيف العلمى ووصل إلى محققه النسخ المحفوظة فى مكتبات العالم ؟
- هل يتعدَّد الجهد بين الباحثين لتحقيق المخطوط نفسه ، فكا هعكم الأول عن الثانى شيئا ؟ .

أمام تعثر الإجابة العلمية الحاسمة عن هذه الأسئلة بدت على الساحة الظواهر السلبية التألية :

- يقوم أحد المحققين بتحقيق وريقات من المخطوط ، ويُعْلن عن

هذا . ثم يتوقف ، وينتظر الآخرون ولا يصدر شىء .

- يتم التحقيق على أساس مخطوطات محدودة ، ولا يصل إلى المحقق عِلْم بالنسخ الأخرى الضرورية لا تمام العمل العلمى .
- يقوم أكثر من محقق فى أكثر من بلد بتحقيق كتاب معين ، وقد يعلم أصحاب العمل أو لا يعلمون . فيتعدد الجهد وتُصْرف طاقات كانت أَولى بأن تصرف فى مخطوطات أخرى غير محققة .
- أصبح الكتمان والخطف والإخفاء أموراً تلازم كثيراً من المحققين بحجة أن هناك مَنْ يسرع إلى تحقيق المخطوط أو يطبعه .
- يرغب كثير من الباحثين أن يتجه نحو التحقيق ولا يجد ما يناسب وقد يجد . ولكن ثمة عقبات تحول دون الوصول إلى النسخ .
- ثمة مخطوطات لها أهميتها وقيمتها ، ولكن يصعب الحصول عليها من طريق الأفراد وقد يسهل من طريق هيبة الجامعة وقدرتها .

والحقيقة أنه ليس هناك مؤسسة علمية قادرة على حل مثل هذه المشكلات قدرةَ الجامعات الإسلامية ، وذلك بأن يعقد ممثلوها اجتماعا لتوزيع العمل ، فتختص واحدة بمخطوطات الحديث مثلاً ، وتختص الثانية بعلوم العربية . وتختص الثالثة بعلم التفسير ، والرابعة بعلم الفقة وأصوله ، وهكذا ...

فإذا اختصَّتْ جامعة معينة بعلوم العربية مثلاً ـ بعد الإتفاق على هذا الاختصاص مع غيرها ـ أوفدت بعثة علمية متخصصة مزودة

بفنيين فى التصوير إلى مظان المخطوطات العربية فى العالم لتصوير أفلام تمثل علوم العربية فحسب . ويتخصص فريق فى مقر الجامعة بتحليل هذه الأفلام لتزويد جهاز الكمبيوتر بنتائج التحليل فى شكل بطاقة مفصلة من مثل : إسم المخطوطة ، ومؤلفها ، ومجلداتها وتاريخ نسخها . ونوع خطها . وعيوبها . وعدد أوراقها . ورقمها الأصلى ، ونسخها المختلفة الموزعة ، ثم معلومات أخرى عن تحقيق المخطوطة : هل حُققت ومن قام بالتحقيق ، وتقوم لجنة متفرعة على المركز بتقويم ما حُقِّق وهل له صفة التحقيق العلمى ، وهل يُوصى بإعادة التحقيق .

ثم تقوم هيئة إدارية بتسجيل أسماء الباحثين الذين يسجلون كتباً لتحقيقها ، وتعطى فترة زمنية حتى إذا ما انتهت الفترة ولم ينتهِ العمل العلمى بحثت الهيئة تحويل العمل إلى آخر . ويكون لدى الهيئة أيضاً معلومات عن كتب لم تُحَقق لتوزيعها على باحثين آخرين .

فإذا عزم أحد الباحثين ـ الذين ليس لديهم فكرة عَمَّا جرى فى كتاب معين ـ على التحقيق بحث فى أهليته وجدارته ، ثم يقوم له الكمبيوتر المعلومات التفصيلية الميدانية عن مخطوطة يعينها الباحث .

وتستطيع الجامعة التى تخصصت فى علوم العربية مثلا أن تضع لنفسها خطة زمنية بأن تنجز خلال المرحلة الأولى حَصْرَ مظانّ المخطوطات من غير تصويرها ، وفى مرحلة تالية تنجز التصوير فى بلد معين كتركيا مثلا ، وفى مرحلة ثالثة ... وهكذا ، ومن الأفضل أن يتم التفاهم بين بلد الجامعة وبلد المخطوطات على نحوٍ رسمى لكيلا تُعَرْقَل أعمال البعثة العلمية والفنية .

إن الخدمة التى يمكن أن تقدِّمها هذه المراكز للتراث الإسلامى خدمة عظيمة تتصف بأنها عملية وعلمية ، ولعل هذا أفضل من أن نترك المسألة على شكل من الفوضى والتصرف الفردى ، ولعل المعرفة الحقيقية بتراثنا والعلوم الإسلامية المختلفة ، وتسهيل التعامل معها ، والافادة منها ، من أهل وسائل دعم عملية التحصين المنشودة ، وذلك لأنَّ الجسور التى نبنيها بين الماضى والحاضر تؤدى إلى التشجيع على استئناف الدور السالف ، فهم رجال ، ونحن ينبغى لنا أن نكون رجالاً ، كما أن تيسير المادة العلمية التى بناها السلف هو فى حقيقة أمره تيسير لمعرفة المنهج الذى احتذوه وساروا فى اثره ، ومعرفتنا العملية بهذا المنهج سوف توحى للأجيال باقتفائه وتمثُّلِه واستيعابه ، وسوف تشعر هذه الأجيال بأن ثمة خيوطاً تشدُّها إلى السير فى رحابه فكراً وعملاً ، نظرية وتطبيقاً .

ومن ناحية ثانية فإنَّ هذا التراث إنْ عُرِض عرضاً دقيقاً كما يريده أصحابه ثم دُرِس دراسة تحليلية نقدية تقويمية ، فإن هذه الأجيال ستفيد من العرض والتحليل فائدة حية ، فإن الصالح منه ـ وهو ما كان لشرح معالم الدين وعلومه وما يُعين على فهمه وينظم مسيرة الإنسان فى الحياة ـ سيعمق الصلة بالإسلام ، ويجعل الأجيال مؤسسةً على تقوى ومعرفة ، كما أن معرفة غير الصالح منه سيجعل الأمة قادرةً على ردِّ ما لا يناسبها وما ليس هو من الخير لها .

٢ ـ فهرسة الحديث وتخريجه :

من المعروف أن هناك مصنفات كثيرة ضَمَّتْ بين دفتيها نصوص الحديث الشريف ، ولكن هذه الأحاديث ليس من السهل دائما

معرفة تخريجها تخريجا متكاملا بمعرفة أصولها وأقوال العلماء فى سندها ومضمونها . وقد باتت الحاجة ماسَّة إلى ذلك ، ومن هنا فإننا نقترح على إحدى الجامعات الإسلامية أن تُنْشِىء مركزا متخصصا مزودا بجهاز كمبيوتر متطور ، يقوم بتخريج جميع الأحاديث الشريفة ، فإذا سُئل الجهاز عن حديث بكتابه بعض كلماته أجاب الجهاز عن مظانه بذكر كتب الصحاح والسنن والمصنفات التى روت هذا الحديث ، وكتابة نصه كاملاً ، ويُزَوَّد الجهاز بمعلومات عن رواته ودرجة صحته والمؤلفات التى درسته من حيث رجالُه وعلومه ، ولا نريد من خلال هذه الأعمال تسجيل بحوث ، وإنما نريد أن يسجل ما يكون بمنزلة الدليل الذى يعين الباحث على مطالعة كتب الحديث وعلومه .

إن هذه الخدمة التى تضطلع بها إحدى الجامعات الإسلامية خدمة عظيمة للباحثين . ويكون هذا جزءاً من المشروعات العملية العلمية لصون العلوم الإسلامية وخدمتها .

(جـ) العمل على إشاعة سيطرة الحق فى العلاقات بين الناس :

وتنمية سلطة القضاء الشرعى وبيته ودعمه بعناصر ناضجة ، وذلك لتعميق ثقة الإنسان بأمته ورفع قيمة الإنسان المسلم ، لقد حدث فى السنوات الأخيرة فى العالم الإسلامى أن شاع الفساد والرشوة ووساطة الشر للوصول إلى غير الحق ، ولم يَعُد للإنسان وزن إنْ لم يكن يملك ما يدعمه ، ونتج عن ذلك وهن شديد فى ارتباط الفرد والجماعة بالمجتمع ، وكأن لسان العلاقات بين الناس أن

البقاء للأقوى لا للأصلح ، للمصلحة الشخصية ، للغنى والحسيب ، للقريب من السلطان ورهطه ، أما أن تسير العلاقات بعيدة عن الهوس المادى الأرضى فذلك أمر لم يَعُد وارداً فى قاموس الناس .

وهذه الظاهرة فى الحقيقة ورثت الأحقاد بين الناس ، وأضعفت صلة الإنسان بمجتمعة ، ولم يعد المبدأ الأمثل الذى ترسمه المقومات الإسلامية العالية ، هو السائد ، وإنما أصبح هذا المبدأ معروفا لدى فئة محدودة جدا قد لا يكون لها شىء من النفوذ فى المجتمع .

إن إضعاف سيطرة الحق لدى أفراد أمة من الأمم يعرقل من قوتها وحيويتها ، وذلك لأن عملية الموازنة سوف تجرى ـ لا محالة ـ بين أمتنا والأمم الغربية الأخرى التى يكون فيها اعتبار عالٍ للنظام والقانون ، فتتجه الأنظار إلى الحكم على تلك الأمم بالرقى ، وعلى أمتنا بالتخلف والفساد والتسيُّب ، فى حين أن مسؤولينا ومفكِّرينا لو أشاعوا سيطرة الحق ، ومكَّنوا من الوصول اليه ، ووسَّعوا حلقات القضاء الشرعى ، وجعلوا له هيبة ونفوذاً ، فإن قيمة الإنسان سوف تكبر فى أعين الجميع ، وتتضح قدرة هذا الإنسان على الحفاظ على مقوِّماته وجذوره وعطائه وثباته .

إن الثقة بنظام الحكم الذى يعيش الأفراد فى ظلاله ، والثقة فى توازنه وقدرته على ضبط الأمور ضبطاً شرعياً ، والتطابق بين دعايته وحقيقته وظاهره وباطنه ، والتنفيذ العلمى لكلِّ أوامره كم غير (استثناءات) و (كتب توصية) إن كل أولئك يمنح الفرد

ارتياحا ويكسبه مناعة أمام الدعاية المتقنة التى تبذلها الأنظمة الأخرى للترويج لمبادئها ، وإن وصول المواطن إلى حق غير مشروع ، وحرمانه من حق مشروع دليل على تخلُّف فى عقلية ذلك البلد وتفكيره وتخطيطه .

(د) تنمية عنصر التخطيط فى العقلية المسلمة :

وتعويد هذه العقلية فى مواجهتها للواقع والبيئة على التفكير المنتظم ، والتخطيط الملائم ، وليس على العاطفة والارتجال . لقد درج الفرد ونشأت الجماعة على مستوى العالم الإسلامى وإداراته ومؤسساته بالتعامل مع المحيط على أساس من تصرُّفات الفعل وردود الفعل ، والبصر القصير ، والرؤية المحدودة ، والانفعال العاطفى الجامح ، وذلك فى محاولة تطوير الفعاليات والخدمات والتعامل مع الآخرين ، فأدَّى هذا إلى ضياع كثير من الطاقات كالمال والخبرات ، وقد أعطى ضعف التخطيط هذا انطباعاً عاماً لدى الأمة أننا غير قادرين على تحمُّل المسؤوليات ، وأننا لا نملك العقلية المستوعبة التى تعرف كيف تخطط ؟ ومتى تتحرك ؟ ، فاهتزت الثقة بالإمكانات والقدرات ، وهذا يُضْعف عملية التحصين التى ننشدها .

أىُّ تحصين نريد أن يتحقق فى أمة زرعت فى ذاكرتها ألواناً عديدة من التجارب التى تثبت ضعف خبرتها وارتجالها واعتمادها على المصلحة القريبة ؟ ليس العيب أن يخطىء الرجال ، وإنما العيب ألاَّ يستفيدوا من هذا الخطأ ليكون تجربة تراكمية فى تحسين العطاء

القادم ، والجهد المبذول ، وليس العيب أن تهدر بعض الطاقات فى سبيل أن نتعلم أين تكمن المصلحة الحقيقية فى التطوير والتحسين ، وإنما العيب أن نهدر كثيراً من طاقاتنا فى تخبط ، وتعثر ، وجهل ، وإسراف ، وبعد عن الترشيد والمعقولية وعدم معرفة بترتيب الأوراق .

(هـ) استثمار وسائل الإعلام :

يزخر العالم اليوم ـ بعد ازدهار وسائل الاتصال ـ بأشكال تعبيرية تقع عليها مسؤولية خطيرة ، ومهمة دقيقة ، كادت من خلال أدائها أن تسيطر على العقول والبيوت ، وذلك لما تملكه من إمكانات هائلة تتسم بالإغراء والجذب وشدّ الانتباه . ومن هذه الأشكال وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحافة وشرائط مسموعة ومرئية .

ولعل الخطر فى هذه الوسائل يبدو فى أنها اقتحمت كل بيت وفرضت نفسها ، كما أنها تملك قدرة كبيرة على تزييف الحقائق أو قلبها . وتثبيت الحق والدعوة إليه .

ومن المعروف أن هذه الوسائل سلاح ذو حَدَّين يمكن أن يستخدم فى الشر استخداماً واسعاً فيتم من خلاله تزيين الفواحش والانحرافات والمحرمات ، أو يستخدم فى الخير فيتم من خلاله زرع الفضائل فى أذهان الناشئة وغيرهم على نحوٍ له بريقُه وقدرته على لفت النظر والانتباه .

وعملية تحصين الأمة ـ إذا كنا جادِّين فى الحرص عليها ـ تملك

من هذه الوسائل رصيداً ضخماً تستطيع أن تتكىء عليه وتعتمد اعتمادا واسعا ، ونود الآن أن نبين بعض المعالم الهادية إلى تحقيق ما ننشده :

١ ـ تعيين ذوى الخبرة الذين دُرِّبوا تدريبا دقيقا على أداء أعمال ناجحة مثمرة ، فالإعلام الإسلامى لا يكون فى عرض تلاوة القرآن الكريم وشرح أحكام العبادات فحسب ، وإنما يكون بالاضافة إلى هذا فى استيعاب الطرق المختلفة لعرض المضمونات الإسلامية عرضا يثبت أننا ذوو منهج متكامل ، وأننا قادرون على الأداء الذى يتناسب مع مبادئنا وقيمنا .

٢ ـ اختيار العنصر الصالح المخلص بعد توعيته بضرورة مثل هذه الوسائل وخطرها ، وانتشارها الواسع ، وما أشدَّ حاجتنا إلى مثل هؤلاء الذين يَجمعون الخبرة والاستقامة ، ولا يغنى أحدهما عن الآخر ، فالأستقامة والصلاح من غير خبرة لن يحققا طموح البرامج الموضوعة ، كما أن الخبرة من غير دين متين وأفق واسع يُخشى معها الطيش والدخول فى الشبهات ولا سيما مع خطورة الموقع ، أرأيت إلى رجل إعلامى يُجَهِّز مادة يستمع اليها العدد الجم الغفير ، وتتصف بخطأ تاريخى أو عقدى أو علمى ، ورجل إعلامى بلغ من المعرفة بقضايا الإسلام مابلغ ولكنه لا يعرف كيف يستثمر وسائل الصحافة أو الإذاعة فى تقديم المادة الناجحة .

٣ ـ وضع الخطط اللازمة للأداء المثمر الذى يحقق الأهداف المرجوة ؛ وذلك لأن الاتجاهات الجاهلية سوف تفتح عيونها لتتسقَّط الأخطاء وتصيد فى الماء العكر ، فى محاولة منها للتثبيط

وإثبات أن العقلية المسلمة قاصرة ، لا تعرف التخطيط والادارة .

نحن لا نقرُّ استخدام ما يستخدمه الآخرون بحجة أنه فرض نفسه ، وأنه يتردد فى أذهان الكثيرين بالقبول ، لأننا لا نقر مبدأ ضعف الشخصية ، وذوبانها فى محيط الآخرين ، إنما ندعو إلى الارتباط بشعائرنا ومبادئنا وقيمنا والعمل فى وسائل الإعلام الإسلامى سيكون مستوحى من هذه المبادىء والقيم ، وعلى هذا فان المادة المعروضة لابد أن تكون ـ إلى جانب كونها شيقة مدروسة ـ جائزة شرعا .

ولعل أهمية وسائل الإعلام الهادفة الجادة فى دعم عملية تحصين الأمة تبدو فى النقاط التالية :

(أ) **الدور التاريخى** : وذلك من خلال الحديث عن أمجاد الأمة وتاريخها وجهادها ، وحركتها لتحرير الإنسان وكشف جوانب الحضارة الإنسانية ، وما قَدَّمته عبر قرون ازدهارها ، وإلقاء الأضواء على تاريخ الرجال الذين يزخر بهم الماضى التليد ، والغاية من هذه الأعمال أن ندعو المسلمين ليأخذوا موقعهم الطبيعى ، فلا ندعو إذاً من فراغ ، فقد كان لتاريخ الإنسانية موعدٌ طويل مع المسلمين ، ووسائل الإعلام ينبغى أن تعرض المادة التاريخية عرضا واقعيا لكيلا يكون هناك استحالة أو صعوبة لاستئناف الدور السابق الذى أتيح لهم .

إنَّ عَرْضَ التاريخ الإسلامى فى وسائل الإعلام المختلفة عرضا أمينا هادفا يشد الجيل إلى هذا الماضى ويربط الأمة بسلفها ، وبذلك نكون قد حققنا عنصراً مهماً من عناصر تحصينها ، فالأمة

التى لها ماضٍ مجيد ، وتسعى أجيالها الحاضرة لاستئنافه أمة يصعب إذابتها والتأثير فيها .

(ب) **الدور التعليمى والتثقيفى** : لعلنا نستطيع أن نوظِّف وسائل الإعلام فى تعليم الجيل وتثقيفه وتوعيته ، ولعل أهم عامل يسير بالأمة إلى طريق الذوبان والتلاشى وضعف الشخصية هو الجهل ، الجهل بواقعها وسبل تطويرها ، وتاريخها ، والجهل بحقيقة الأمم الأخرى ، وكيف تتحرك ، الجهل بالتخطيط والتنفيذ ومعرفة ما ينفع وما يضر .

فاذا عرفنا كيف نرتب المادة الثقافية التعليمية عبر الصحافة والاذاعة والتلفاز . وعرفنا كيف نستثمر الأجهزة المتطورة فإنَّ خيراً كبيراً نكون قد قَدَّمناه لهذا الجيل ، وعززنا ارتباطه بدينه وأمته واسلامه .

(جـ) **الدور الإبداعى** : وذلك بأن نشحذ عقول أفراد المجتمع لمباشرة التعامل مع وسائل الإعلام ، ونستحث طبقات الأمة كافةً مِنْ طلاب وعمال وأساتذة وموظفين ومسؤولين على تقديم آرائهم وعَرْض ملكاتهم ، وما يجول فى تفكيرهم وأوجه إبداعهم . إن الأمة عبر وسائل الأْعلام يمكن أن نعرف آفاقها واقتراحاتها للتطوير فكم مِنْ رأىِ حصيف برق ولمع ، ولم يَدْر أحد شيئاً عنه ، وكم من أدمغة بشرية لا يعرف أحد طريقة استثمارها . نريد أن يتخذ الناس من وسائل الإعلام المختلفة أداة للتعبير عن فكرهم المخزون ، وبذلك تكون هذه الوسائل منبراً نعرف من خلاله ماعند أفراد الأمة من ناحية ، ونتلمس منه أسباب المزيد من الرقى والتقدم من خلال

حوار القوم وإبداعهم .

ولعل الأدب الإسلامى من الوسائل التعبيرية التى تمتلك طاقة كبيرة يمكن أن نستفيد منها فى التحصين المنشود ، لقد اتخذت الاتجاهات الفكرية المعاصرة من الأدب مادة ثرة للتعبير عن مضامينها وأفكارها ، ولا يزال الأدب الإسلامى متعثرا بعضَ التعثُّر فى استيعاب الخط الإسلامى ، ثم التعبير عنه بالإطار الفنى والكلمة الجميلة ، وإذا أفسحنا المجال لهذا البرعم أن ينمو فإنه سيكون أداة لدى أدبائنا للوقوف على مطامح الأمة ووصف همومها ، والانطلاق بالكلمة إلى قمم عالية ترتاح إليها النفس ، وتتجاوب معها تجاوبا يُعَدُّ من مصلحة الدعوة وبذلك يصبح هذا الأدب ركيزة من ركائز الدعوة إلى الإسلام والتعبير عن معالمه .

ويقينا لو وعى أدباؤنا تأثير الأدب الملتزم ـ وقد فعل هذا أدباء الماركسية والوجودية والواقعية ـ لحققوا خيراً كبيراً لهذه الأمة . إن الناشئة ـ بل وكل من أوتى حس التذوق والتفاعل ـ يميلون بالفطرة إلى التجاوب مع الابداع الفنى الذى يمتلك عناصر جمالية ، فإذا اجتهدنا فى أن نعزز الساحة بالأدب الراقى الذى يسلك الأساليب التى تدرك طبيعة المادة الأدبية وما يناسبها فعلاً عن طرائق تعبيرية ، فإننا ندعم عملية التحصين المنشودة ، وكثير من الأدباء المسلمين الملتزمين يحتاجون إلى مَنْ يرعاهم ويشجعهم . لقد شجعت الاتجاهات الجاهلية بعض الأدباء الذين يؤمنون بأفكارها ورفعت مِنْ شأنهم ، وملأت الساحة بأدبهم وأسمائهم ، فى حين لا يلقى أدباؤنا هذا التشجيع والدعم .

ان تقصير الأدب الإسلامى عن العطاء كما وكيفا مادةً وفناً ، قد يجعل شبابنا وناشئتنا يتجهون إلى الآداب الأخرى ويَعُدُّونها بمنزلة البديل . وسوف تجد سمومها وعقائدها طريقا إلى جيلنا ، بالإضافة إلى أن الثقة بإمكانات الأمة الإسلامية قد تضعف ، وذلك لأن الأدب النظيف الهادف جزء من هذه الإمكانات التى نتطلع إلى توفُّرها .

لعل أدب الأطفال مما تشتد الحاجة إلى الكتابة فيه ، لأن هناك العدد الجم الغفير من الروايات التى كتبت كتابة تجارية ، أو وُجِّهت توجيها معينا لتخدم عقيدة معينة ، وهذه أمانة نضعها بين يدى أدبائنا للنهوض بها ، وذلك لتقديم أدب ينطلق من منطلق إسلامى يشرح قصص الأبطال المسلمين ، والرجال الذين كان لهم دورٌ فى بناء التاريخ الإسلامى ، كما يشرح المعارك والغزوات والكنوز التى يحفل بها التشريع الإسلامى ، ويبين الأخلاق الإسلامية التى يدعو إليها الإسلام . ويوضح العقيدة ومعنى التوحيد ، وقد يتجه إلى العلوم والمعارف الإنسانية فيبسط معطياتها .

وينبغى أن يُراعى فى صوغ هذا الأدب اللغة المبسطة التى تناسب عمر الطفل ، كما يبتعد عن التضخيم والتهويل ، ونبذ أى أوهام ليس لها أساس من الواقع ، وتُراعَى العناصر الفنية اللازمة ليجد الطفل من هذا الأدب بديلا حقيقياً للروايات الأخرى ، كما يُستفاد من ثمرات العلوم الإنسانية المختلفة فى صوغ هذا الأدب من مثل علم النفس وعلم التربية .

(و) توجيه الاختلاف توجيها إيجابيا :

إنَّ الاختلاف فى وجهة النظر فى طريقة العمل لخدمة الإسلام والدعوة إليه وإقامة شعائره فى الأرض ، والعمل بمعطياته ، أمر وارد ، ولا حرج منه ، فلقد اختلف الصحابة فى فَهْم النصوص ، واجتهدوا ، واختلف الفقهاء فى التعامل مع النصوص واجتهدوا ، فإذا اختلف أهل الدعوة فى طريقة العمل اليوم لهذه الدعوة فلا مانع من اختلافهم ، ولكن ينبغى أن يكون بينهم تفاهمُ وتنسيق وتكامل ليملأ كل واحد منهم ثغرة .

واذا أردنا أن نقوِّم الجهود المبذولة لخدمة الإسلام فى الربع الأخير من القرن الهجرى الماضى وجدنا أن بعض هؤلاء العاملين ينطلق فى نظرته إلى الآخرين من (الجبهوية) فكل مَنْ لم يَنْضَوِ تحت لواء تفكيره أو حركته يعدُّه فى جبهة ، وهو ومؤيدوه فى جبهة ، فتكون لغة التعامل سوء الظن والحقد والأذى والكيد والحسد ، وهذه الروح السائدة جعلت كل فريق من العاملين للاسلام يسوِّغون أخطاء أصحابهم ، ويتابعونهم فى خلقهم غير السديد ، وقد يكون بين أفراد الجماعة الواحدة اتجاهات متغايرة يؤدى إلى الشحناء والبلاء العظيم .

إنَّ اتساع دائرة البغضاء بين العاملين للاسلام إشارة لظاهرة مَرَضية ينبغى أن نجتهد جميعا فى اذابتها ، ونستبدل بها الاخلاص وحب العمل ، وتقدير المرحلة التى يعيشها المسلم فى هذا القرن ، حيث أن كيد أعدائه ماكر ، وتعاونت أمم الأرض عليه ، ودمه أرخص دم عندهم ، وهذا يدعو المسلمين إلى اعادة النظر فى

أوراقهم فينطلقون من إشاعة روح الإلفة بين جميع العــاملين المخلصين ، وهذه الروح تدعم عملية تحصين الأمة التى نسعى اليها ، وأىُّ تحصين ننشده ولسان حال الكثيرين : هاهم العاملون للإسلام الذى تريدون إعلاء شأنه : شحناء فيما بينهم ، يكيدون ويحسدون ويكمن بعضهم لبعضهم الآخر.

إنَّ الفرد المسلم اليوم يُحِس فى نفسه بمرارة تقطيع الأواصر ، حتى أصبحت الدعوة نفسها بالنسبة إلى الكثيرين مفعمة بالكثير من المثبطات وما يبعد عن التقدم والحماسة ، ومن هنا فإن هذا الفرد سيلجأ إلى أن يخفِّف عن نفسه كثيرا من الواجبات والأنشطة التى ينبغى له أن يحملها مع اخوانه .

ان (الجهوية) التى أشرنا اليها معوق ضارٍ من أكبر المعوِّقات التى أُصِبنا بها فى طريق التحصين ، فقد أفسد الخلاف معانى الود والأخوة ، فى حين أن اختلاف وجهات النظر يمكن أن يكون وسيلة لملء الثغرات وتحقيق الواجبات وإذا أردنا منهجاً قويما لأجيالنا سعينا فى تربيتهم على :

١ ـ احترام آراء الآخرين الذين يخالفونهم فى الرأى .

٢ ـ الاستفادة من تجارب العاملين للاسلام كافة .

٣ ـ الحرص على استثمار كل طاقات الأمة وأىُّ إهدار لأية طاقة يُعَدُّ من قبيل النظرة القريبة القصيرة .

٤ ـ التزام الخلق الإسلامى فى التعامل مع الآخرين كالصدق والأمانة ونبذ الغيبة والحسد والكيد والزهد فى كل ما يحبِّذ الإسلام الزهد فيه ، وحسن الظن بالمسلمين .

(ز) توجيه الأقليات المسلمة :

انتشر هذا الدين فى الأصقاع البعيدة ، ودخَل الناس فيه أفواجا ، ومضوا يحملون عبء الدعوة إلى الله فى الأرجاء كافة ، والأقليات المسلمة المنتشرة فى جُلِّ دول العالم دليل على حيوية هذا الدين ، فما تزال تؤمن به على الرغم من ضغوطا المجتمع المحيط ، والحكومات التى مافتئت تكيد لهم ، وتحاول أن تطمس معالم الشخصية الإسلامية فيهم .

وهذه الأقليات المنتشرة أمانة بين أيدى الحكومات الإسلامية ، وذلك لأن فى رعايتهم ونموهم والحفاظ على شخصيتهم الإسلامية فائدة كبيرة لنا ولهم ، حيث إنهم يبقون على صلتهم بالاسلام ، ويكونون خير سفراء لنا فى تلك الأصقاع البعيدة يسعون فى نشر الدين ويكونون قدوة لغيرهم فى بلادهم .

إن إشعار حكومات هذه الأقليات باهتمامنا بهم يحقق مصلحة كبيرة لأفراد هذه الأقليات ، فإذا أريد بهم المكر والبطش وتغيير معالم شخصيتهم الإسلامية وَضَعوا فى أذهانهم موقفنا والإجراءات التى يمكن أن نتخذها ، كما أن حسن الرعاية التى نوجهها لهذه الأقليات سوف يرفع من مستواهم المعيشى والتعليمى والتوجيهى ، فيكونون لهذا الدين أداة فعالة لنشر رسالة الله فى بلادهم ، حيث إن الآخرين ـ وهم فى خوائهم الروحى وضَعْف ثقتهم بأديانهم ـ سيجدون أمامهم صورة تطبيقية لعالم آخر يختلف عن عوالمهم ، وليس كالقدوة والمثل الصالح والنموذج الحى من طريقة فَعَّالة لنشر الدعوة .

إن الاهتمام بالأقليات يحقق خطوة طيبة فى طريق تحصينها من أن يعصف بها محيطها ، أو تذوب فى المجتمع الكبير ، وإن فى تحصينها دعماً لطاقاتنا ، فقد يكون من هؤلاء المفكّر أو صاحب المال والنفوذ الذى يملك القدرة على دعم المسلمين فى بلادهم ، ولكنه لا يدرى كيف يخطط للإنفاق ، وقد يكون منهم العنصر المتحرك الفعال ، ولكنه يحتاج إلى من ينظِّم طاقته ، وما أجمل الأحاديث النبوية الكريمة التى تَعُد المسلمين كالجسد الواحد « **ترى المؤمنين فى تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى** »[1] .

أما طريقة تحصين هذه الأقليات فان رعايتها ومساعدتها والتعرف على مشكلاتها وإرسال الدعاة إلى أرجائها ، وفتح المراكز التثقيفية والتوجيهية ، وملاحظة الإخوة الذين يُرْسلون من العالم الإسلامى ، ومتابعة برامجهم ونقدها نقداً بناءً ، وفتح جامعاتنا لهم بزيادة المنهج الدراسية المقررة ، والإفادة من موسم الحج ليكون مناسبةً عملية لتهيئتهم لواجباتهم وإشعارهم بأنهم لبنة من بناء شامخ ، فتزداد الثقة بأنفسهم وبدينهم .. كل أولئك عوامل فى طريق تحصين هذه الشعوب التى قد تتحول يوما ما ـ والعياذ بالله ـ إلى أديان أخرى ، أوتذوب فى النهر الجارف من حولها ، ثم تقول براعمها : كان جدى مسلماً ، إنْ نحن أهملنا هذا الواجب ، وقد تتحول مجتمعاتها كلها فى يوم ما فتصبح إسلامية إن نحن قمنا

---

(١) رواه البخارى (الأدب ١٢٧ الفتح ٤٣٨/١٠ .

بالواجب خير قيام .

ومما يؤسف له أن كثيرا من الأقليات بقيت على ولائها الظاهر للدين ، فقد تقيم الصلاة وتحج البيت ، ولكنها فى عاداتها وطريقة تعاملها اليومى أصابها التأثر المباشر بالمحيط ، فتجد نساءها سوافرَ كاشفات ما حرَّم الله أن يُكْشَفَ ، أو يظهر ، يتساهلون فى الاختلاط والحجاب والربا ، ويتزوجون من نساء يبقين على دينهن ، وقد يتعودُّون على قضاء الصلاة وقد أتيح لى أن ألتقى بعض الوقت بإحدى الأقليات المسلمة فوجدت مالا]رضى من ضعف التطبيق ووهن الصلة بالشعائر الإسلامية كإضاعة الصلاة والتكشف والاختلاط ، وعملية التحصين التى أشرنا اليها تهدف إلى الإحاطة بهؤلاء ، ودراسة مشكلاتهم التى تجعلهم يتساهلون أو يذوبون .

ويدخل فى هذا الموضوع التوجه بالرعاية والدعم لرابطة العالم الإسلامى التى تقوم بدور فعال فى رعاية هذه الأقليات ، والحرص على مصالحها وحيويتها ، والرابطة ترعى شؤون الدعاة فى كثير من أرجاء العالم ، ونحن ندعو إلى الاستمرار فى دعمها وإلى رفع شأنها ، لكى تتابع المهمة بإمكانات تخوِّلها تنفيذ برامجها وطموحها .

ولا ريب أن بعثات ادارة الافتاء بالمملكة العربية السعودية تقوم بأعمال طيبة فى توجيه الأقليات والشعوب الإسلامية وإرشادها فى عقيدتها ودينها ، ونحن ندعو إلى دعم هذه البعثات وملاحظتها فى أعمالها الميدانية وتزويدها بالمتدربين والإمكانات اللازمة التى تجعلها تباشر مهمتها بثقة واطمئنان .

(ح) **توجيه المبتعثين :**

وهذا الشاب المبتعث الذى يسافر خارج بلده ، يطلب المعرفة والتخصص والتدرب ، يحتاج من برامج التحصين إلى اهتمام ذى بال ، ورعاية خاصة ؛ وذلك لأنه فرد من أفراد هذه الأمة ، وسوف يتعرض لإغراءات وابتلاءات ، ويعيش فى وسط يختلف قليلا أو كثيرا عن الوسط الذى نشأ فيه ، فإذا لم يتم تحصينه تحصيناً كافياً نخشى أن نخسره كما خسرنا عشرات الشباب المسلم الذى مضى يدرس فى أوربا وأمريكا ، فجرفه السيل مِنْ حوله ، والتقمه الموج ، فانبهر بالحضارة مِنْ حوله ، ومضى يحتقر أو يقلل من شأن كل شىء يتصل بالإسلام وشعوبه فأين مايراه من هذا التخلُّف الذى يعيشه (الأهل) فى الشرق ، وأين نحن من الكمبيوتر والقمر الصناعى والتقنية ودقة التنظيم .

ان عنصر الحيوية لدى الشاب المبتعث يُضاف اليه التفوق الذى يتصف به عادة ـ فلا يُبْتَعَثُ غالبا إلا الصفوة ـ وكونه نبته مسلمة من مجتمع يحسب حسابا لربه ان كل أولئك ينبغى أن يستثمر لصالح الدعوة ، فنكون قد كسبناه وحافظنا على انتمائه من ناحيه ، وأفدنا مجتمعاتنا من الدربة والمران والخبرة التى سيكتسبها من ابتعاثه ، وأوفدناه سفيراً صالحاً ، وقدوة مثلى تفعل فِعْلها فى بلاد الغرب ، وأن لم نصنع ذلك توجهت هذه الحيوية إلى الشر ، فباشرته وانغمست فيه ، وذلك لأن جوَّ الابتغاث يشجع على الشهوات والتفلُّت من هيبة التدين ، مع غياب ملاحظة الأسرة والمجتمع والصحب الصالح .

إن برامج التحصين الموجهة للمبتعث ينبغى أن تبدأ قبل أن يسافر ، وفى أثناء زمن الابتعاث . ويجدر بنا أن نلاحظ :

١ ـ إقامة دورات عملية ذات برامج مكثفة للمبتعثين تراعَى فيها طبيعة بلد الابتعاث ومشكلاته ، فبرنامج المبتعث إلى بلد مسلم مثلا غير برنامجه إلى بلد أوربى .

٢ ـ انتقاء المبتعثين من ذوىِ الكفاءات العلمية من ناحية ، وممن عُرِفوا باستقامتهم والتزامهم بالخلق الإسلامى من ناحية ثانية .

٣ ـ عقد صلات وثيقة بين المبتعثين أنفسهم ، وذلك لأن الذئب يأكل من الغنم الشاة القاصية ، فالصحبة الصالحة تكبح كثيراً من الشهوات ، وتغطى حاجة الشاب الفطرية إلى الالتقاء والاجتماع ، فإذا لم نحقق له ذلك حَقَّق لنفسه صلات مشبوهة مريبة .

٤ ـ تيسير سبل الزواج أمام المبتعث قبل البعثة أو فى أثنائها .

٥ ـ توثيق الصلة بينه وبين المراكز الإسلامية فى البلد المتعث إليه ، وتزويد هذا المراكز بموجهين وعلماء ، ليكونوا أهل الذكر بالنسبة إلى المبتعثين يحاورونهم ويتعرفون منهم على حلول لمشكلاتهم ، ويعرِّفونهم بطرق استثمار فراغهم ، وكيف يروِّحون عن أنفسهم بديلاً عن الوسائل غير المشروعة .

٦ ـ حَثُّ المبتعثين على القيام بواجب الدعوة إلى الله فى البلد الذى هم فيه ، وذلك لإشعارهم بواجبهم ، وثمة فائدة كبيرة تعود اليهم بهذا الواجب من ناحية التربية والاهتمام بتطوير النفس ، حيث يشعر المبتعث بأهميته داعيةً ، وأهمية عمله .

وعلى كل حال فإن القاعدة العامة فى الابتعاث أنه أمر اضطررنا

اليه ، فإنْ تَوَفَّر المكان المؤهل فى بلد إسلامى لم نستبدل به سفراً ، فإنَّ السفر ليس غاية فى ذاته .

ان المبتعث عندما يعود إلى بلده وهو مرتبط بعقيدة هذا البلد وتراثه كسبٌ كبير ، فى حين أن المبتعث الذى عاد إلى بلده بفواد غربى وتفكير انبهر بحضارة الغرب سيكون عقبة كأداء أمام الرغبة فى تحصين الأمة . إنه سيستصغر جهودنا ويقلل من شأنها ويحرص على أن يرتبط فى فكره وخطه بعجلة الغرب ، ويحتذى حَذْوَها فى كل شىء ، ونكون بذلك قد خسرنا فرداً ذا بال من أفراد هذه الأمة ، إضافة إلى أنه سيباشر إحباط الجهود الإيجابية المبذولة بحجة أنها « متلفة » متعثرة .

(ط) إحياء العمل بنظام الحسبة فى المجتمع المسلم :

لعل من أهم السبل التى تحقق للمجتمع المسلم التحصين والرقى النوعى هذا النظام الذى يضع للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قواعد عُرِفت بالحسبة . ولعل أول دلالة من دلالات هذا النظام هى أن الإسلام يتصل بالحياة ، وهو تعبير عملى عن هذه الصلة الحية ، فيكون بذلك صورة من مظاهر ارتباط الأرض بالسماء ، حيث يلاحظ أعلى المنكرات خطرا كما يلاحظ أدناها ، ويسير مع أعظم أشكال المعروف قيمةً كما يسير مع أدناها ، ويواجه أصحاب المهن المختلفة يرشدهم إلى كيفية تجويد مِهَنِهم ، ويضغط على غير المتقن منهم ليقوِّمه ويسدد خطاه .

لقد دل نظام الحسبة على أن الشريعة جامعة لما يصلح الناس

فأساسها ومبناها مصالح العباد ، وقد يصل الأمر فى مراعاة هذه المصلحة إلى أن ينص الفقهاء على أن المحتسب يترك النهى عن المنكر حين يرى أن نهيه عن المنكر سيترتّب عليه مفسدة أعظم من المصلحة التى يرتجيها ، فيسكت ولا ينكر والحالة هذه .

ويقدِّم نظام الحسبة ثمرة عظيمة وهى هذه الطمأنينة التى يحس بها الفرد والجماعة ، فالفرد إنْ وقع عليه الاحتساب قطع من نفسه محاولات الوصول إلى الكسب المادى أو نقض النص الشرعى ، وذلك طريق الاحتيال والتزوير ، أو بإشهار هذا الانحراف على نحوٍ يُظْهره أمام الناس ، فإنْ وَجَّه المحتسب له ملاحظاته يكون قد رَّبى فيه ضرورة الإتقان الذى حَبَّذه الإسلام ، ورد فى الحديث « **ان الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه** » [1] ، فبذلك يكون نظام الحسبة دافعاً إلى الإتقان والتجويد ، الأمرين المطلوبين فى المجتمع المسلم . وقد عرضت علينا كتب الحسبة نماذج عملية لما ينبغى أن يكون عليه أصحاب المهن المختلفة .

ونحن نجد الأمر نفسه فى جوانب الحسبة الأخرى حيث لا يحس صاحب المنكر بالراحة وهو يباشر منكره ، وذلك لأن الرقابة عليه تحيط به ، فيقطع بذلك دابرَ الهوى والشهوات فى أرجاء المجتمع .

ومن المعروف أن الإسلام يربى فى الجماعة حِسَّ الملاحظة والانتباه لسير الأمور فى المجتمع « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم**

---

(١) وفى رواية (أن يُحْكمه) رواه أبو يعلى والعسكرى عن عائشة والبيهقى ، انظر : كشف الخفاء ١/٢٨٥ .

يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب » [1] ، وكما فى حديث السفينة المشهور « **مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقَوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم فقالوا : لو أنَّا خَرَقْنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَنْ فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعا ، وإنْ أخذوا على أيديهم نَجَوا ونَجَوا جميعا »** [2] .

ومن هنا كان أفراد المجتمع كلهم محتسبين وإنْ كان بعض رجاله مكلفين بمتابعته وتحقيق جدواه .

وقد ضبط الفقهاء قواعد الحسبة وأصولها لتعطى الثمار المرجوة منها ، وليس فيها مجال لاستغلال المنصب ، وليست هذه القواعد مطبقة على فئة دون فئة ، ولا يملك المحتسب امتيازات نادرة ، حيث إنهم نصُّوا على أنه يُشترط فيه الفقه ومتانة الدين ، وحتى لا يتحوَّل الاحتساب إلى فوضى نصُّوا على أنه فيما يُحتاج فيه إلى قهر وسلطة فلا بد فيه من إذن الإمام ، وأما ان كان الأمر للإرشاد فهذا يَثْبت لعامَّة الناس المتأهلين له .

وتَطَوُّرُ العمل بنظام الحسبة وارتقاؤه ليواجه أحوال الأيام وتعقيدها يدل على أن العمل بالحكومة الإسلامية يكون آخذاً فى الاعتبار ما يجدُّ من الأمور ، وهذا ردٌّ على يتَّهم الشريعة بالقصور والجمود .

---

(١) رواه أبوداود فى سننه فى كتاب الملاحم ، باب ١٧ (٤/٥٠٩ـ ٥١٠ .

(٢) رواه البخارى (الشركة ٦) الفتح ٥/١٣٢ .

ونخلص الآن إلى أن عملية التحصين المنشودة سوف تفيد فائدة عظيمة من تطبيق نظام الحسبة فى المجتمع ، حيث إن هذا التطبيق سيقدِّم المزيد من الاقتناع والرضى بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، والمزيد من وضوح الصورة المُرْضِية عن حسن سير أمور المجتمع ، ويخفف من مظاهر الانحراف والمنكر ، فيرتد بصر الهوى وهو حسير .

- - -

عوامل ايجابية فى طريق التحصين

يمتلك الذين يباشرون الجهود ـ للوصول إلى مستوى عال من مستويات تحصين الأمة ـ عوامل إيجابية تُعينهم فى برامجهم وأعمالهم ، من هذه العوامل :

١ ـ الإسلام نفسه :

يمتلك الإسلام فى طبيعته من الإمكانات والقدرات ما يجعله مستوعبا لمشكلات الإنسان ومشكلات العصر ، أما قضايا الإنسان فإن الإسلام يتعامل معها تعاملاً متوازناً ، فيحقق فطرة الإنسان ويهذب من نوازعه ، وينحو به فى اتجاه البناء الحضارى ، بل إنَّ حاجة الإنسان اليوم إلى نظم الإسلام أصبحت واضحة ماسة ، وذلك بسبب اخفاق النظم الوضعية فى حل مشكلاته ، وليس ثمة شك عند المنصفين فى أن التسلُّط الشيوعى على رقاب البشر إنما يرضى شهوة التسلط والحكم ، حيث أصبحت سيطرته على الشعوب جحيماً فى نظرها ، حتى إن طبقات العمال والفلاحين التى يزعم أنه يُنْصفها حملت لواء الثورة عليه ، ولم تَعُد تطيق أن تعيش فى ظل هَدْرِه لإنسانيةِ الإنسان ، كما أن النظام الغربى الرأسمالى لم

يستطع أن يحقق الاستقرار والطمأنينة للفرد ولم يقدّم حلولاً عملية لمشكلاته ، تتجاوز هذا البرق الظاهر الذى يبدو فى الشكل الخارجى لمسيرة الحضارة .

ويقينا لو أنَّ العالم الإسلامى استطاع أن يحوِّل التشريعات الإسلامية إلى واقع عملى يتحرك ليحكم ويسود لاستفاد الإنسان المسلم من ناحية ، ولوجد العالم المعاصر نموذجا حيا فى طريقة تنظيم المجتمع واستثمار إمكاناته ، وفى طريقة التعامل مع طبيعة الإنسان وتربيته .

أما قضايا العصر فإن الإسلام بما يقدمه من أصول وقواعد ينسجم مع الثابت والمتطور فى حياة البشرية ، ولم يَعُدْ مقبولاً عند المفكرين أن عملية التطور تصيب كل شىء إصابة جوهرية ، فليزمها تطور جوهرى فى النظم ، وذلك لأن هناك قواعدَ فطريةً تحكم طبيعة الإنسان تبقى ثابتة ، كما أن هناك (متطورات) تتبدل بتبدل الزمن ، والإسلام دائما ـ وهو النظام الربانى الذى جاء من لدن حكيم خبير بطبائع الأشياء ـ يستوعب المستجدَّات بقواعده ، ويتعامل معها بما يحق الخير للإنسان ، فليس لازماً أن يكون كل جديد يحمل المصلحة الحقيقية للإنسان ، وليس لازماً أن يكون كل قديم أتى عليه حين من الدهر فأصبح لا يحقق الخير والنماء .

وعملية التحصين التى ننشدها لها من هذا الدين رصيد هائل ، لأنها تسعى فى إقرار منهج يمتلك من وسائل الثبات والحيوية والتكامل ، فهى لا تعاند وتقاوم من أجل منهج فاشل بعيد عن

مقومات النضج ، وإنما تحس أنها كلما اعتمدت عليه وسَعَتْ فى اقرار نظمه إقرارا عملياً خرجت بفائدة مستفيضة ، وكلما ابتعدت عنه ازدادت شقاء وغثائية ، فعملية التحصين بذلك لا تعمل فى فراغ ، ولا تتكلف العطاء ، وإنما يكفيها أن تعمل على أسس سليمة ، فهى ستصل إلى عالم ثر واسع فى عطائه وقدراته وتنظيمه .

٢ ـ الصحوة الواعيـــــة :

مرت بالشعوب الإسلامية فى التاريخ الحديث أحوال مختلفة من التمزق والجهل والانحسار والرضا بالواقع المهين جعلتها لا تثق بنفسها ، وترضى بحاكمها يعيث فى الأرض جاهليةً وفساداً ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الشعوب لم تعد تقدِّر خطر النتائج التى أسفرت عنها مسألة هدم الخلافة الإسلامية ، وما تبعها من فصل الدين عن الدولة ، وعَرْض البديل المنمق الذى تمثل فى الدعوة إلى القومية وأصبحت هذه الشعوب تألف هجر الشريعة وتمكين الجاهليات المختلفة .

غير أن الربعَ الأخير من القرن الهجرى السالف شهد صحوة واعية فى أرجاء العالم الإسلامى ، لم تَعُدْ ترضى بأن يكون الإسلام بعيدا عن الساحة على سطور الأوراق الصفراء والبيضاء ، لا يجد القوة والمَنَعة ، وأصبحنا اليوم نلتقى فى معظم بلدان العالم الإسلامى دعاةً عاملين وأفراداً صالحين مخلصين ، يؤمنون بهذا الدين منهجاً متكاملاً يغطى جميع فعاليات الحياة ، وينتظم مسارها ، وهذه الصحوة ـ وإن رافقها الخنق والحجيم ومحاولات التشويه فإن ذلك

قد يؤثر فى امتدادها الأفقى ـ لكنه لا يؤثر فى امتدادها العمودى لدى الفرد المسلم وقناعته .

وعملية التحصين التى ندعو إليها سوف تفيد كثيرا من صحوة الشعوب الإسلامية حيث إنها ستلقى منهم ـ إنْ كانت على أسس مدروسة ـ التجاوب والتقدير والعون ، وذلك لأن التحصين سيتوجه إلى هذه الشعوب ، فان كان يلقى منها عزوفاً وتجاهلاً وعناداً فإن هذه الجهود قد تتعثّر أو تفشل ، فى حين أنّ هذه الشعوب لوكانت تعى دورها وموقعها ، وحقيقة العالم الذى تعيش فيه ، فإن عملية التحصين ستكون بلا ريب فاعلة مثمرة ، وبذلك تكون صحوتها عاملا مساعدا على تقديم البرامج المدروسة المثمرة باذن الله .

٣ ـ توفُّر الإمكانات :

لا ريب أن الجهود المبذولة فى تحصين الأمة وأجيالها تحتاج إلى إمكانات واسعة ، فما مدى توفُّر هذه الامكانات ؟ .

(أ) المـــــال :

المال عصب أساس فى أية جهود بشرية ، ومن المعلوم أن هناك طاقات مخزونة فى العالم الإسلامى من بترول ومعادن مختلفة وأراض خصبة توفر مبالغ طائلة من المال ، غير أنَّ هذه الأشكال من الطاقات ينبغى دعمها بدراسة مستفيضة لاقتصاديات العالم الإسلامى ، ومن وسائل توفير المال :

١ ـ الترشيد العام فى الإنفاق ، ولا سيما فى الكماليات وتعبئة الرأى العام للحدِّ منها ، وبيان ما تتحمله الدول المستوردة فى سبيل تأمينها .

٢ ـ تحقيق التكامل الإقتصادى بين دول العالم الإسلامى ، فما ينفق فى سبيل تأمين العملات (الصعبة) من الممكن أن يُحْفَظَ ويُدَّخَر .

٣ ـ التوسُّع فى التصنيع المحلى لتحقيق الاكتفاء الذاتى والحدّ من استيراد ماله بديلُ محلى معقول .

٤ ـ الاطلاع على تجارب الأمم والشعوب فى توفير طاقاتها وتدبير معاشها والإفادة من هذه التجارب بما لا يتعارض مع عقيدتنا وقيمنا .

٥ ـ الاستفادة الواسعة من معطيات البيئة المحلية بما يحقق كثيراً من المادة الخام اللازمة .

وهذه الطاقات المادية المتوفرة من مخزونة وجاهزة سوف توفر لعملية التحصين المنشودة ماتحتاج إليه فى برامجها وتخطيطها ، ولن تكون قلة المال عقبةً فى تحقيق أىّ غرض مدروس ، والعالم الإسلامى ـ كما أشرنا ـ لا يشكون قلة فى الأموال ، بقدر ما يشكون من ضعف استثمارها استثمارا رشيدا .

(ب) **العقلية النشيطة :**

من المعلوم أن الإمكانات المادية مهما تنوَّعت وتوفَّرت لا يمكن أن تصنع حضارة من غير أن يكون وراءها عقل بشرى ناضج فاعل ، تردفه جهود نشيطة تسعى فى تنفيذ إشارات هذا العقل ، والعالم الإسلامى يمتلك من هذين الجانبين مايدفعه للبناء الحضارى والتحصين اللازم له ، فالعقل المسلم إن أتيح له أن يُستثمر عقلُ نامٍ مبدع ، وها هى أوربا اليوم تكسب على الدوام من هذا النزيف الواضح للعقول المسلمة التى هجرت أعشاشها وتوجَّهت إلى البلاد (الدافئة) وقد أحست أن لها فى أعشاشها الجديدة مَنْ يقدِّرها ويعرف قيمتها ، ولا يحجر عليها أن تتنفس ، ويقينا لو أتيح لهذه العقول المهاجرة وغير المهاجرة مَنْ يكفل لها الاستثمار والعطاء لقدمت الكثير . ولا يذهبن أحد إلى أن يقول : ماذا اخترعت هذه العقول التى تزهو بها وماذا قدمت ؟ ، وذلك لأن طريقة السير الصحيحة نحو الهدف هى التى توصل إليه ، ولوكان السير على القدمين فى حين أن امتطاء السيارة الفارهة من غير معرفة بمخطط السير لا يوصل إلى الهدف وقد يوصل إلى تهلكة .

نحن لا نشكو من مشكلة الأدمغة كماً وكيفا فيما ننشده من تحصين لهذه الأمة ، وإنما نشكو تقييد هذه الأدمغة أو إهدارها ، ومن هنا فإنَّ أىِ رغبة فى الارتقاء بهذه الأمة لن تلقى العنت فى توفُّر العقلية المسلمة على مستوى العالم الإسلامى ، وبذلك نكون قد كسبنا جزءاً مهما من رأس المال الحقيقى للمضى فى التنفيذ .

(ج) **الحكومة المسلمة** :

للحكومات أثر كبير جوهرى فى دعم أيِ برنامج للارتقاء بالفرد والمجتمع وفق المنهج الإسلامى ، وذلك لما تملكه من إمكانات كبيرة وأجهزة إدارية وتنفيذية ومتابعة وهيبة ، ورد فى الأثر عن عثمان رضى الله عنه « **إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن** »[1] . وفى المقابل قد تساهم بعض الحكومات فى عرقلة البرامج التى تحس أن فيها ما يصطدم بطبيعة النظام الذى أقره الحاكم ورضى به .

وبما أن عملية التحصين المنشودة تنطلق من منطلق حفظ كيان الأمة . ومواجهة التيارات المعادية لهذا الكيان على ساحة العالم الإسلامى فكان من المفروض ألا يكون بين الحكومات وجهود التحصين تناقص أو تنافس . أو أيِ شكل من أشكال الاصطدام والتعارض ، ونحن نأمل من الحكومات الإسلامية كأفة أن تعى دورها وأهمية هذا الدور ومسؤوليتها فى تحقيق أهداف التحصين ، وأن تُدرك خطر مخططات الغرب لإحباط المسيرة الإسلامية . إننا نأمل منها أن يكون لها من التجارب المختلفة التى مرت بها شعوب العالم الإسلامى ما يجعلها تراجع أوراقها وتحقق المزيد من الارتباط بهذا الإسلام دينا ودولة . نظاما ومنهجا .

٤ ـ المواسم والمناسبات :

من المعروف أن فى الإسلام مواسم معينة لأداء وظائف شرعية محددة . وهذه المواسم فى الحقيقة من الإيجابيات الطبيعية التى يمكن

(١) انظر : الفرد والدولة فى الشريعة الاسلامية ١٢ .

توظيفها لخدمة عملية التحصين وتحقيق الهدف منها : فالحج مثلا يمكن أن تُسْتثمر مناسبته لكى يلتقى أبناء العالم الإسلامى ، فيتحاوروا ويعقدوا الاجتماعات التى تتناول مشكلاتهم ووسائل تطوير الدعوة الإسلامية وتذليل المعوِّقات التى تقف فى طريقها ، ولعل هذا اللقاء الحاشد يزيد من ثقة المسلمين بأنفسهم حيث يستشعرون الانتشار الكمِّى للإسهام فى القيام بواجبهم .

وصلاة الجمعة موسم ثمين ، حيث يلتقى المسلمون عبر هذه الفريضة فيقوم الخطيب بتوجيههم وتبصيرهم بأمورهم ، ويقينا لو أن الخطباء أدركوا أهمية الدور الذى أنيط بهم وخدموا موضوعاتهم بالتحضير الكافى وناقشوا أموراً حيوية بأساليب مناسبة لكان للمسلمين فائدة كبيرة .

وموسم رمضان موسم خصب يستشعر المسلمون خلاله ضرورة تكافلهم الاجتماعي والسؤال عن فقرائهم ، وما يترتب على ذلك من واجبات ، وهو أيضا سانحة للمزيد من تحقيق النفحات الإيمانية للفرد والجماعة .

وثمة مناسبات تاريخية من مثل تاريخ الغزوات والفتوحات والمعارك ، فيكون من المناسب استثمارها لصالح جهود التحصين وتذكير الأمة بما يترتب عليها من واجبات لاستئناف الدور السابق .

- - -

عوامل تقف فى وجه التحصين

ليست أزمة العالم الإسلامى اليوم هى أزمة المنهج ، فهو يمتلك أعظم المناهج ، وليست أزمته فى ضعف إمكاناته ، وإنما يتحكم فى أزمته العوامل التالية :

١ - الجهـــــل :

فلا تزال الأمِّية قاسما مشتركا بين الشعوب الإسلامية ، ولا تزال البدع تأخذ طريقها إلى تفكيره ، صحيح أن الأمور تحسَّنت فى الربع الأخير من القرن الهجرى السالف حيث فشا التعليم والتثقف ، ولكن الجهل بشتى أنواعه لا يزال سمة شعوبنا ، وليس كالجهل من داء يعوِّق أىّ تحصين مطلوب ، وذلك لأن التحصين شكل من أشكال التنوير الصحيح ، ولا يكون التنوير الصحيح إلا بقاعدة صلبة تقوم على العلم والمعرفة ، وليس غريبا أن يكون للعلم فى الإسلام مكانة عظمى وذلك لأن طبيعة هذا الدين تنطلق من مقولة **﴿ قل هل يَسْتوِى الذين يَعْلمون والذين لا يَعْلمون ﴾** [١] ، **﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾** [٢] **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»** [٣] ، **«مَنْ سلك طريقاً يطلب فيه علما سلَكَ الله به طريقا**

(١) الآية ٩ من الزمر.

(٢) الآية ٢٨ من فاطر.

(٣) رواه ابن ماجة (المقدمة ١٧) ٨١/١ .

الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم»[1] .

ان برامج التحصين ستلقى تجاوبا من القاعدة المتعلمة التى تعرف الدور الذى يُنتظر من المسلم ، وكيف يتحرَّك ويواجه التيارات السائدة فى حين أنَّ هذه البرامج ستتعثر فى جِواء الجهل والتخلف ومنح الولاء لغير الله ، إن من المسلمين مَنْ لا يرى مانعا أن يوالى زعيما يخنق الدعاة أو يعطِّل شرع الله أو يتحاكم لغيره . وإنَّ منهم مَنْ يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، وان منهم مَنْ يتشكك فى بعض الشعائر فيراها غير مناسبة لحضارة القرن العشرين ... . إلى غير ذلك من المظاهر التى تتطلب من برامج التحصين المزيد من الجهود المدروسة لإعلاء الحق والقضاء على الباطل .

٢ ـ الحكـــومـــات :

أَشَرْنا قبلاً إلى أهمية الحكومات فى دعم برامج التحصين ، والحقيقة ان تلك الحكومات سلاح ذوحَدَّيْن : فمن الممكن أن تكون دعما عظيما ، ومن الممكن أن تكون معوِّقا هادما ، وذلك لما تملكه من إمكانات قد تُسَخَّر للخير أو للشر .

وينبغى أن يكون لدى الدعاة حصافة ومرونة فى طريقة العمل لخدمة الدعوة ، ولقد كان الربع الأخير من القرن السالف مشحونا بتجارب شتى ينبغى أن تؤلف عند الدعاة رصيداً طيباً من الخبرة ، ولهم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة . إن قطف الثمرة قبل أن تنضج ، والاعتماد على التربية الأفقية القريبة ، واعتماد الحماسة

---

(١) رواه ابن ماجة (المقدمة ١٧) ٨١/١ ، أحمد فى المسند ١٩٦/٥ .

العاطفية التى لا تعتمد على تقدير حقيقى للخسائر والأرباح والقيام بأعمال بدون سبر حقيقى للإمكانات ... كل أولئك من الدروس التى يلزم للداعية أن يعيها حق الوعى .

ان العمل للدعوة إلى الله ينبغى أن لا يقف ، ومن الخطأ أن لا نحسب حسابا لطبيعة العصر والبلد والأفراد الذين نتعامل معهم ، ولكل مجتهد نصيب .

٣ ـ افتقاد الرؤوية المناسبة :

ان من أعظم الأمراض التى نبه اليها الرسول ﷺ (إعجاب كل ذى رأى برأيه) ، كما أن (الهوى المتبع) شكل ضارٍ من هذه الأمراض . فتجد كثيرا من الدعاة يتحمسون إنْ كفلْتَ لهم حظ النفس وحققوا لأنفسهم ذاتا وسلطة ، وتجد كثيراً منهم يعزفون عن الشورى مع إيمانهم بها نظرياً ، ومنهم من لا يُبدى استعدادا للتخلى عن إرثه وعرفه وعاداته ولو اصطدم ذلك مع الإسلام أو مقتضيات المرحلة ، ومنهم مَنْ ابتلاه الله بضيق الأفق ، يرى الإسلام كله من خلال قضية محدودة ، ويقوِّم الآخرين على أساس هذه القضية . ولا يكلف نفسه لينظر نظرة بعيدة ليتحسسَ المشكلات الكبرى ، ويرتب الأوراق على حسب الأَوْلى والأَهم ، ومنهم من لا يزال بعقلية (الدروشة) والسذاجة ، فلا ترى فى طريقة تعامله مع الأشياء من حوله منهجاً ونظاماً ودقة ، وإنما يخبط خبطَ عَشْواء من غير أن يفكر فى ترتيب تحركه وعطائه ، يتصرف بحسب الفعل ورد الفعل ، خفيف الوزن إمَّعة .

لقد حان الوقت الذى يؤمن خلاله أهل الدعوة إلى الله أن

حماستهم وحدَها لا تكفى ، وإيمانهم وحدَه لا يكفى ، والتعبير عن حبهم لدينهم وحده لا يكفى ، وإنما ينبغى أن يُدعم كل هذا بالترتيب الدقيق والبرمجة الهادفة ، والجَدْولة الواعية والدماغ المستوعب ، وذلك لئلا يُحْكَمَ على جهودهم بالتخلف ، ولأنهم أولى من غيرهم ـ بما يملكونه من منهجٍ راقٍ سديد ـ بتخطيط أمورهم ومجمل حياتهم .

– – –

مايدخل في الحسبان

ان تنفيذ أي برنامج صح العزم عليه ينبغي أن يكون قد سبقه دراسة مستبصرة لكثير من العوامل . وسوف نحاول الآن أن نعرض لأهم العوامل التي يلزم أن يُحسب لها حساب في مرحلة الفرض والاقتراح وما يتبعها من مراحل تنفيذية .

١ ـ الفردُ المستقبِل :

إنَّ أيِّ عمل ذي برنامج وهدف يتطلب فيه معرفة طبيعة الفرد المستقبل : هل هو طالب ؟ وفي أية مرحلة ؟ متى يكون الإرسال ؟ ما مدى تقبُّل المادة ؟ وما مدى استيعابِها ومناسبتها له ؟ هل هي متسلسلة وهل يتابعِ المستقبل المادة السابقة ؟ وما مدى خدمتها لقضايا الدعوة ؟ إنَّ خطأ كثير من البرامج يبدو في أنها لا تراعي طبيعة المستقبِل ولا تهتمُّ بعنصر التشويق ، وما يناسب الفرد وما يشغل تفكيره ؟ .

٢ ـ القائم بالاتصال :

هل تَمَّ تدريبه على نحوٍ كافٍ ؟ وهل هو متفاعل مع طبيعة عمله ؟ وهل يؤمن بما يقوله ؟ وهل يتعامل معنا تعامل الحريص الغيور أو أنه يسعى للربح الماديِ فحسب ؟ .

٣ ـ **أداة الاتصـــال** :

هل تم تطويرها ؟ هل أخذنا بالأنسب ، وهل تم استيعاب طرق تشغيلها وصيانتها وإصلاح آليّتها ، وهل تستعمل بوعى وترشيد أو بإسراف أو إتلاف ؟ وهل تناسب العمل نفسه ؟ .

٤ ـ **طبيعة العصــر** :

نحن فى عصر يفرض نفسه ، وله سماته الخاصة ، ونحن أبناء هذا العصر فإن لم يكن ثمة تعارض مع قيمنا ومبادئنا فأىُّ مانع أن نراعى مستجدَّات العصر وتطوره وطبيعته ، ليس شرطا أن نرسل داعية لإلقاء محاضرة فى فرانكفورت . وهو يلبس لباسا غريباً عن أهل البلد مثلا ، وليس لازماً أن نلتزم بوسائل نشر الدعوة التى كانتاسائدة فى العصر الأموىِ مثلاً . وليس من الضرورى أن نرفض كل شىء يأتى من حضارة الغرب ، إنَّ لدينا موازين ومعايير ، يمكن أن نباشرها ونحن نتعامل مع العصر فى أى زمان ومكان .

٥ ـ **طبيعـــة البلـــد** :

لعل من الحصافة والكياسة أن لا نرفع لواء المعارضة فى الرفض ان كنا فى بلد غير بلدنا ولا يؤمن بما نؤمن به . وإن أى برنامج صح العزم على تنفيذه فى عملية التحصين والدعوة ينبغى أن يُراعى فيه طبيعة البلد ونظمها ، وكيف ندخل إلى قلوب أهلها ، ومتى يرفضون أعمالنا ، وكيف نَسْتثمر المحيط استثمارا مناسبا ، أننا لا نقرُّ أن نذوبَ فى المحيط ونتأثر بسيله وأمواجه غير المناسبة لديننا ، كما أننا لا نقرُّ فى الوقت نفسه أن تكون برامج العمل غير مدروسة وغير

ناضجة . ومن هنا فإنَّ علينا أن ننزل الناس منازلَهم . وأن نعطى لكل ذى حق حقه .

٦ ـ الإمكانات :

إنَّ علينا أن نتحرك وفق هذه الإمكانات ، فالكلام سهلٌ والاقتراحات يسيرٌ إخراجها ، ولكن مامدى تَوَفُّر إمكانات تحقيقها وتنفيذها . إن اغفال تقدير الإمكانات جَرَّ على الدعوة كثيراً من المصائب ، فقد ينطلق الداعية بحسن النية والحماسة . ولكنه يغفل عن إعداد نفسه وسبر أمكاناته الحقيقية ، فيضطر إلى المعاناة ويقاسى ما يقاسيه . ومن هنا فإننا ندعو إلى التحرك فى ضوء هذه الإمكانات وتقدير طبيعة العطاء بحسبها .

ـ ـ ـ

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبويه فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]

الكتاب	المؤلف
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوق الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فودة]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ **الأسلام والنظر فى آيات الله الكونية**	[الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	[د. البدراوى عبدالوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ ـ معجزة خلق الإنسان	[د. عبد الرحمن عثمان]

الكتاب	المؤلف
٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية	[الدكتور سيد عبدالحميد مرسى]
٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى	[أنور الجندى]
٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام	[د. محمد أحمد البابلى]
٥٤ ـ الصبر فى ضوء الكتاب والسنة	[أسماء عمر فدعق]